رأسماليّة الاستهلاك وأثرها على الإنسان
دراسة تحليليّة نقديّة

بحثٌ مُقدَّمٌ إلى

المُؤتمَرِ الدَّوليّ الأوَّل لكليَّةِ أصُول الدِّين والدَّعوةِ بالمنصورة

بعنوان

التَّدابير الشَّرعيَّة والعَمَليَّة في مُواجهة مَوجةِ الغلاءِ العالميَّة

الأحد ٣ مارس ٢٠٢٤ م

إعداد

الأستاذ الدكتور/ أحمد السيد عبد الحميد محمد الفار

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

في كليّة أصول الدين بالمنصورة، جامعة الأزهر

ملخص البحث باللغة العربية

رأسماليّة الاستهلاك وأثرها على الإنسان – دراسة تحليليّة نقديّة.

أحمد السيد عبد الحميد محمد

قسم العقيدة والفلسفة، كليّة أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: ahmed.alsyd@azhar.edu.eg

الملخّص:

تعدّ الرأسماليّة الاستهلاكيّة أهمّ تطوّر للرأسماليّة؛ إذ انتقل الاهتمام من الإنتاج إلى الاستهلاك، ومن السلعة التي تعود بالنفع على الإنسان إلى السلعة التي تجلب لذّة وقتيّة، فمفهوم الرأسماليّة الاستهلاكيّة يدلّ على تعظيم الاستهلاك، وذلك باستخدام الرأسماليّة مجموعة من الآليّات والأدوات الإعلاميّة من أجل خلق رغبات وحاجات عند المستهلك للسلعة التي قد لا يحتاج إليها بقصد زيادة الإنتاج وزيادة الأرباح.

وقد ظهرت الرأسماليّة الاستهلاكيّة في أوروبا الغربيّة، في خمسينيّات القرن العشرين بسبب النقلة التكنولوجيّة الكبيرة والتطور الصناعيّ، مما جعل الشركات في الستينيّات تواجه مشكلة كبيرة تتمثل في الإنتاج الزائد مقابل قلّة الطلب على المنتجات، فأصبح هدف الرأسماليّة لفت انتباه المستهلك بشدّة نحو السلعة، وخلق حاجات جديدة للسلع.

وبهذا قد دخلت مجموعة من التغييرات على الرأسماليّة منها: انتقال السوق إلى النفس البشريّة، وأصبح التنافس بين المستهلكين لا بين المنتجين كما كان سابقًا، وبهذا أصبحت رأسماليّة الاستهلاك نقطة التقاء بين الرأسماليّة والشيوعيّة.

وقد استخدمت الرأسماليّة الاستهلاكيّة عدّة وسائل للترويج للسلع وتنمية روح الاستهلاك منها: الإعلانات، ومخاطبة الغرائز، وتضييق دورة حياة المنتَج، واستخدام السلعة الرمز.

وتتعدد خطورة الرأسماليّة الاستهلاكيّة بين:

١- خطورة على الإنسان؛ فقد أوجدت إنسانًا طبيعيًّا يقدّس اللذّة ولا يؤمن بغيرها مرجعيّة، وأيضًا عملت على تسليع الإنسان وتسليع أحلامه.

٢- خطورة الرأسماليّة الاستهلاكيّة على البيئة.

٣- دور الرأسماليّة الاستهلاكيّة في ظاهرة الغلاء العالميّ.

الكلمات المفتاحيّة: الرأسماليّة، الاستهلاكيّة، اللذّة، البيئة، الغلاء، الإعلان، السلعة، الرمز.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

Consumption capitalism and its impact on humans - a critical analytical study.

Ahmed AlSyd Abd elHamid Mohamed
Department of Doctrine and Philosophy - Faculty of Religious Fundamentals and Advocacy in Mansoura ،Arab Republic of Egypt.
Email: ahmed.alsyd@azhar.edu.eg

Abstract:

Consumer capitalism is the most important development of capitalism. As interest has moved from production to consumption ،and from the commodity that benefits humans to the commodity that brings temporary pleasure ،the concept of consumer capitalism indicates the maximization of consumption ،by using capitalism as a set of media mechanisms and tools in order to create desires and needs among the consumer for the commodity that he may not need. To it with the aim of increasing production and increasing profits.

Consumer capitalism appeared in Western Europe in the fifties of the twentieth century due to the great technological shift and industrial development ،which made companies in the sixties face a major problem of overproduction in exchange for a lack of demand for products. The goal of capitalism became to draw the consumer's intense attention to the commodity ،and to create new needs. For

goods.

Thus ،a group of changes came to capitalism ،including: the transfer of the market to the human soul ،and competition became between consumers and not between producers as it was before ،and thus consumer capitalism became a meeting point between capitalism and communism.

Consumer capitalism has used several means to promote goods and develop the spirit of consumption through several means. Among them: advertisements ،appealing to instincts ،narrowing the life cycle of the product ،and using the commodity as a symbol.

The dangers of consumer capitalism range from:

1- Danger to humans; It created a natural human being who sanctifies pleasure and does not believe in anything other than it as a reference. It also worked to commodify man and commodify his dreams.

2- The danger of consumer capitalism to the environment.

3- The role of consumer capitalism in the phenomenon of global high prices.

Keywords: Capitalism - consumerism - pleasure - environment - high prices - advertising - commodity symbol

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،

فقد اهتمّ قسم العقيدة والفلسفة بدراسة التيّارات الفكريّة التي تُخالف الدين شرحًا ودراسة ونقدًا، وهذه التيارات في مجملها حركات فكريّة يعتنقها مجموعات من البشر بقصد التغيير في ثقافة المجتمع وتديّنه، والتغيير في البنية الاجتماعيّة والاقتصاديّة كالعلمانيّة والشيوعيّة والرأسماليّة والوجوديّة والصهيونيّة وغيرها.

ورأسماليّة الاستهلاك هي إحدى تطوّرات الرأسماليّة، وتهدف إلى جعل الهمّ الأكبر للمجتمعات هو الاستهلاك من أجل زيادة الأرباح، وزيادة الأرباح تتطلّب صناعة ثقافة مجتمعيّة خاصّة حتى يزيد الاستهلاك. وتحتاج إلى تسويق يصنع الحاجة لدى الفرد، وقبل كلّ ذلك لابدّ أن يوجَد إنسانٌ يقدّس اللذّة الآنيّة.

ولم يكن الاستهلاك تيارًا فكريًّا سائدًا في العالم، بل إنّه حتى بدايات القرن العشرين كانت له دلالات سلبيّة؛ فالمُستهلِك هو المخرّب، والاستهلاك هو التدمير، وبفعل السياسات التي اتبعها الرأسماليّون أصبح الاستهلاك تيّارًا مكتسِحًا يكاد يكتسح الجميع، وهو ما جعل بعض المفكرين الغربيين يطلق على هذا العصر الذي نعيشه عصر الاستهلاك.[1]

ولهذا حظي موضوع الاستهلاك باهتمام كبير من قبل الباحثين في أكثر من علم من العلوم الاجتماعيّة، فقد كان الاستهلاك الأرضيّة التي اجتمع عليها باحثون من تخصصات مختلفة، تقع ما

---

(١) انظر: عصر الفراغ الفردانيّة المعاصرة وتحوّلات ما بعد الحداثة، جيل ليبوفيتسكي، ص١١٢، ترجمة: حافظ إدوخراز، مركز نماء للبحوث بيروت، الأولى، ٢٠١٨م.

بين علم الاجتماع وعلم النفس.[١]

وقد دخلت الرأسماليّة في صراع من أجل تحويل المجتمعات بأسرها إلى مجتمعات استهلاكيّة وإدخالها القفص الحديديّ، قفص الإنتاج والاستهلاك، دون هدف أو غاية سوى المنفعة واللذّة.[٢]

هذا الصراع الذي دخلته الرأسماليّة كان مع أصحاب الرؤية الأخرى التي توجب أن يتكاتف ويتعاون الجميع من أجل أن نعيش على هذه الكرة الأرضيّة بمصادرها المحدودة، وأن نقيم مجتمعات مبنيّة على العدل ونحقق قدرًا من التوازن للإنسان: التوازن مع الذات، والتوازن مع الطبيعة، والتوازن بين الجماعات الإنسانيّة.[٣]

ويأتي المسلمون - انطلاقًا من دينهم الحنيف - في مقدمة هؤلاء؛ فهم لا يعتبِرون معدّلات الاستهلاك هي النقطة المرجعيّة التي يستخدمها الإنسان في الحكم على الأمور، فمرجعيّة المسلم هي مقدار تحقيقه لقيمه الإسلاميّة، وبذلك فإنّ المسلم إنسان مقاوم للاستهلاكيّة العالميّة.[٤]

وإذا كانت رأسماليّة الاستهلاك قد أدخلَت العالم كلّه في صراع بإتلاف الموارد عن طريق الحروب والتلوّث، فهي بهذا لها ارتباط وثيق بالمجاعات، وظاهرة غلاء الأسعار في العالم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد أشاعت السُعار الاستهلاكيّ الذي لا يُبقي ولا يذر.

---

(١) انظر: ثقافة الاستهلاك: المفهوم والقضايا النظريّة، رويدة أحمد محمد عيفة، مجلة البحث العلميّ في الآداب، جامعة عين شمس، عدد ١٧، ج١، ص٢٦٠.

(٢) انظر: الهويّة والحركيّة الإسلاميّة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٢٧، تحرير سوزان حرفي، دار الفكر دمشق، الثانية، ٢٠١٠م.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص٣٤.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص٣٠.

أسباب اختيار الموضوع:

١- لم تُدرس رأسماليّة الاستهلاك - فيما أعلم - كتيّار فكريّ هدفه طمس الدين، وتغيير المجتمعات، وإشاعة اللذّة كمرجعيّة وحيدة للفرد والمجتمع.

٢- إعلان كليّة أصول الدين فرع المنصورة عن مؤتمر دوليّ بعنوان: التدابير الشرعيّة والعمليّة في مواجهة موجة الغلاء العالميّة. فكان هذا البحث للتذكير بأنّ أهمّ سبب من أسباب الغلاء في العالم هو رأسماليّة الاستهلاك.

الدراسات السابقة:

لمّا كان الاستهلاك مؤثرًا في مجالات متعددة فقد حظي باهتمام الباحثين في مجالات متعددة، وقد أولاه علماء الاجتماع والاقتصاد أهميّة كبيرة:

ففي علم الاجتماع على سبيل المثال مايك فيزرستون ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة، وكتبت رويدة أحمد محمد عيفة ثقافة الاستهلاك: المفهوم والقضايا النظريّة، ونجوى عبد المنعم الشايب ثقافة الاستهلاك الترفيّ في الريف المصريّ: دراسة أنثروبولوجيّة بإحدى قرى محافظة الشرقيّة وغيرها من البحوث.

أمّا علم الاقتصاد فعلى سبيل المثال فقد كتب علي كنعان الاقتصاد والتنمية، وياسر عيد شحاتة الإصلاح الاقتصاديّ وثقافة الاستهلاك في المجتمع المصريّ.

منهج البحث:

استخدمتُ في هذا البحث عدّة مناهج علميّة هي:

١- المنهج التاريخيّ عند الحديث عن الرأسماليّة وعلاقتها بالبرجوازيّة ورأسماليّة الاستهلاك.

٢- المنهج التحليليّ عند الحديث عن رأسماليّة الاستهلاك وأساليبها في الانتشار.

٣- المنهج المقارن وذلك عند الحديث عن الرأسماليّة ورأسماليّة الاستهلاك.

٤- المنهج النقديّ عند الحديث عن آثار رأسماليّة الاستهلاك.

خطّة البحث:

قسّمتُ البحثَ إلى مقدّمة ومبحثين وخاتمة:

أمّا المقدّمة فقد ذكرتُ فيها أهميّة الموضوع، وأسباب اختياره، والمناهج المستخدمة فيه، وخطّته.

والمبحثُ الأوّل بعنوان: **رأسماليّة الاستهلاك نشأتها ووسائلها**.

والمبحث الثاني بعنوان: **آثار رأسماليّة الاستهلاك على الإنسان والدين الأوطان والبيئة ودورها في موجات الغلاء العالميّة**.

والخاتمة، ذكرتُ فيها أهمّ النتائج التي توصلتُ إليها.

وفي الختام، أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقتُ لما فيه الخير والهدى.

المبحث الأوّل: رأسماليّة الاستهلاك نشأتها ووسائلها

تُعدّ رأسماليّة الاستهلاك أهمّ تطوّر أو أهمّ نقلة للرأسماليّة؛ إذ انتقل الاهتمام من الإنتاج إلى الاستهلاك، ومن السلعة التي تعود بالنفع على الإنسان إلى السلعة التي تجلب اللذّة الوقتيّة، ومن هنا فإذا كان الحديث عن رأسماليّة متطوّرة؛ فإنّه يجب أن ألقي الضوء على الرأسماليّة، وأهمّ أسسها ومبادئها.

تعريف الرأسماليّة:

تعرِّفها جويس أبلبي[١] بأنّها: «نظام ثقافيّ متأصّل في الممارسات الاقتصاديّة التي تدور حول رغبة المستثمر الخاص الملحّة في جني الأرباح، وعادة ما يعزِّز السعيَ وراء الربح كفاءةُ الإنتاج مثلما يفعل تقسيم العمل، واقتصاديّات الحجم الكبير (أي خفض التكلفة عن طريق زيادة الإنتاج)، والتخصّص، واتساع سوق السلع، وفوق ذلك كلّه، الابتكار».[٢]

فهي وإن كانت نظامًا ثقافيًّا؛ لأنّها نموذج يؤثر على أنماط حياة الإنسان أفرادًا وجماعات، إلا أنّ أهمّ خصيصة في الرأسماليّة أنّها «نظام اقتصاديّ مبنيّ على الملكيّة الخاصّة لوسائل الإنتاج، وعلى حريّة تبادل السلع والخدمات التي تُحدِّد كميّتَها ونوعَها وسعرَها الأسواقُ الخاضعة

---

(١) أكاديميّة أمريكيّة ولدت عام ١٩٢٩م وتوفيت عام ٢٠١٦م من مؤلفاتها: الرأسماليّة ثورة لا تهدأ، واكتشافات العالم الجديد. انظر:

https: //www.nytimes.com/٠٢/٠١/٢٠١٧/books/joyce-appleby-historian-of-capitalism-and-american-identity-is-dead-at-٨٧.html

(٢) الرأسماليّة ثورة لا تهدأ، جويس أبلبي، ص٣٣، ترجمة: رحاب صلاح الدين، مراجعة: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي، الأولى، ٢٠١٤م.

للمنافسة حسبما يمليه قانون العرض والطلب؛ لتحقيق أقصى ما يمكن من الربح».[١]

فالنظام الرأسماليّ المعنيّ بالاقتصاد هو الذي يقوم فيه نظام الإنتاج على رأس المال والآلة والملكيّة الخاصّة، والمركز الاحتكاريّ الذي يشغله الرأسماليّ في النظام، ويمكنه الاستيلاء على الفائض في صورة أرباح، والإنتاج فيه يعتمد على طبقتين أساسيتين هما: الرأسماليون، والعمال الصناعيّون.[٢]

وسمّيت رأسماليّة؛ لأنّها تقوم على الملكيّة الخاصّة؛ فبإمكان الفرد أن يمتلك الأرض ورأس المال. وتُشجّع الرأسماليّة حريّة العمل التجاريّ والاقتصاد الحرّ؛ لأنّها تسمح للنّاس بأن يباشروا أنشطتهم الاقتصاديّة بصورة مباشرة ومتحرّرة إلى حدٍّ كبير من التدخل والتحكّم الحكوميين.[٣]

ويزعم الرأسماليون أنّه لا يمكن أن يتقدّم أيّ بلد في العالم إلا من خلال هذا النموذج، فهو وحده الكفيل بمحو التخلّف الذي تقع فيه الشعوب، وأيضًا هو النظام الوحيد القادر على تحقيق الرخاء الاقتصاديّ، ويدّعون أنّ النظام الرأسماليّ رسالة تنويريّة؛ فمن أراد أن يتقدّم في الاقتصاد والتنمية، بل وحتى في السياسة والاجتماع عليه أن يلحق بركب النظام الرأسماليّ فهو نهاية التاريخ

---

(١) القاموس الاقتصاديّ، د. محمد بشير علية، ص١٩٢، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، الأولى، ١٩٨٥م.

(٢) انظر: تطوّر الرأسماليّة الأوروبيّة من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين وانعكاساتها على المجتمع الأوروبيّ، مجلة جامعة بابل - العلوم الإنسانيّة، ج٢٨، عدد ٥، ص٢٦٧.

(٣) انظر: الموسوعة العربيّة العالميّة، مجموعة من الباحثين، ج٢، ص٤١٣، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الثانية، الرياض، ١٩٩٩م.

كما يزعم فرانسيس فوكو ياما[١][٢] الذي له كتاب يحمل عنوان: نهاية التاريخ والإنسان الأخير.[٣]

نشأة الرأسماليّة:

هناك ارتباطٌ تاريخيٌّ بين البرجوازيّة والرأسماليّة؛ إذ أنّ البرجوازيّة، في مرحلتها الأخيرة هي الرأسماليّة في مرحلتها الأولى، إلا أنّ هناك فرقًا كبيرًا بين مصطلحي الرأسماليّة والبرجوازيّة، «فالبرجوازيّة تمثّل طبقة اجتماعيّة يتركز نشاطُها على تصدير السلع واستيرادها، أمّا الرأسماليّة فتمثّل طبقة اجتماعيّة تملك مشروعات صناعيّة تحلّ فيها الآلة محلّ اليد العاملة، ويصبح المال لديها عنصرًا جوهريًّا من عناصر الاقتصاد».[٤]

وقد ولِدت البرجوازيّة في كنف نظام الإقطاع.[٥] وتُشتقُّ كلمة البرجوازيّة من كلمة burg أي

---

(١) أكاديميّ وسياسيّ أمريكيّ، ولد عام ١٩٥٢م، من مؤلفاته: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، مستقبلنا بعد البشريّ: عواقب ثورة التقنية الحيويّة، أميركا على مفترق طرق.

(٢) انظر: أزمة الرأسماليّة وانعكاساتها على البلدان النامية، أمحمد حسين نصر، مجلة البحوث العلميّة، جامعة إفريقيا للعلوم الإنسانيّة والتطبيقيّة، ج٢، عدد ٤، ص١٥٦

(٣) نشره مركز الإنماء القوميّ، بيروت، عام ١٩٩٣م.

(٤) دراسات في العقائد الرأسماليّة – الاشتراكيّة – الشيوعيّة – الصهيونيّة، أحمد الشيبانيّ، ص٢٣، دار الكاتب العربيّ بيروت، بدون.

(٥) الإقطاع الأوروبيّ نظام اقتصاديّ ساد في أوروبا منذ نهاية الإمبراطوريّة الرومانيّة حتى القرن الثالث عشر. والإقطاع يعني أراضِي زراعيّة مملوكة لأحد النبلاء أو الأشراف يعمل فيها عدد من الفلاحين، وقد انتشرت في معظم أنحاء أوروبا. وكانت الإقطاعيّات تتكون من الأراضي التي يمتلكها النبلاء والأراضي التي يمتلكها الفلاحون أيضًا. ويعيش النبلاء في بيوت داخل الإقطاعيّة محاطة بالحدائق وأشجارِ الفاكهة والمباني الأخرى. وكان كلّ بيت من هذه البيوت يضمّ كنيسةً وطاحونة للدقيق ومعصرة للخمور. الموسوعة العربيّة العالميّة، ج٢، ص٤٣٤ .

"القلعة" ويُقصد بهم التجّار أو الباعة المتجوّلين الذين كانوا يقصدون الأرياف ليبادلوا على المنسوجات والعطور والتوابل بالمنتوجات الريفيّة، وقد كان أوّل مطلب للبرجوازيين هو حصولهم من الإقطاعيين على حقِّ الانتقال وحريّة التجوال بين الأقاليم، وقد استجاب الإقطاعيّون لهذا المطلب لقاء مبالغ من المال قام البرجوازيّون بدفعها إليهم.(١)

وفي الشتاء كانت الطرق تُغمر بالثلوج والأوحال، ولهذا كان تمركز البرجوازيين في القرى الواقعة على مفترق الطرق أو عند مصبّ الأنهار، وقد بنوا المنازل هناك لتلك الأهميّة التجاريّة وذلك كلّه بعد موافقة الإقطاعيين، وهكذا تكوّنت شيئًا فشيئًا المدن التي أطلق عليها burg، وطلبوا بعد ذلك بناء الأسوار على هذه المدن، وسَمَح لهم الإقطاعيّون بالبناء مقابل أموال وهدايا، وقد أخذت هذه المدن تنمو شيئًا فشيئًا وتكوّنت طبقة اجتماعيّة جديدة، وبرزت البرجوازيّة في المجتمع الإقطاعيّ.

ومن هنا أصبح للبرجوازيين سلطة في هذه المدن، وأخذوا يديرونها حسب رغباتهم؛ فسنّوا القوانين، واختاروا القضاة، وغدا أثرياء البرجوازيّة أسيادًا لهم مطلق الصلاحيات يكدّسون الأموال وينمّون الثروات.

وانقسم المجتمع إلى طبقتين: طبقة الأثرياء الذين يملكون كلّ شيء ولهم السلطة السياسيّة المطلقة، وطبقة الفقراء المُعدمين الذين لا يملكون شيئًا من مال، أو رأيًا في توجيه السلطة.(٢)

ومن هنا «بدأ المال يلعب دوره الجوهريّ في الاقتصاد، فتأسست المصارف وتوسّعت أعمالها، وأصبحت النشاطات المصرفيّة عنصرًا ضروريًّا للاقتصاد، وقد ساعد اكتشاف أميركا على تدعيم

---

(١) انظر: دراسات في العقائد الرأسماليّة - الاشتراكيّة - الشيوعيّة - الصهيونيّة، أحمد الشيبانيّ، ص٢٣، ٢٤.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٢٤، ٢٥.

مركز المؤسسات المصرفيّة ومضاعفة رؤوس أموالها. وأصبح المال شرطًا أساسيًّا لكلّ قوّة. فأخذ الأثرياء يقومون بإنشاء المشروعات الصناعيّة، وبرز إلى المجتمع العمل المأجور وولدت الرأسماليّة على زعيق الآلة وكدح العمال، وقامت الثورة الفرنسيّة تنصّ على أنّ حق التملك حق مقدّس».[١]

أسس الرأسماليّة:

قد يكون من العسير التحدّث عن كلّ أسس وقوانين الرأسماليّة وقواعدها الحاكمة، ولكننا في هذه النُبذة نوجز أهمّ هذه الأسس فيما يأتي:

١ - النظام الطبيعيّ:

ويعدُّ أهمّ مبدأ من مبادئ الرأسماليّة؛ والذي «يُعرَّف بأنّه ذلك النظام الذي يعمل من تلقاء نفسه دون تدخّل من أحد».[٢]

هذا القانون الطبيعيّ لا يخضع للإدارة الإنسانيّة فهو حتميّ وتلقائيّ، وعلى هذا الأساس فإنّ **حريّة الفرد** هي حقٌّ طبيعيٌّ وكذلك **الباعث على العمل والإنتاج**، وعلى الدولة أن لا تتدخل في هذا المسار القدريّ والمرسوم سلفًا؛ لأنّ بتدخلها تنتهك المصلحة الفرديّة التي هي في النهاية مصلحة الجماعة ذاتها.[٣]

٢ - السوق:

السوق في الرأسماليّة هو «كائن له كيان مستقلّ عن إرادة الإنسان ووعيه، وله قوانينه الميكانيكيّة

---

(١) المصدر السابق، ص٢٦.

(٢) أزمة الرأسماليّة وانعكاساتها على البلدان النامية، أمحمد حسين نصر، ص١٥٣.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص١٥٣.

"العلميّة" التي لا تتغيّر»[١]، فهو حركة المادة في عالم الاقتصاد، والمادة ليست لها أيّة خصوصيّة.[٢] وأسعاره تعتمد على قوانين العرض والطلب، ودور الإنسان فيه محدود بالمقارنة بدور السوق.[٣]

والعلاقات داخل السوق تأخذ طابعًا غير إنسانيّ، إذ أنّه لا توجد علاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان، بل هي علاقات ماديّة بين الأشخاص يتبادلون فيها السلع نظير النقود، وهنا، يفقد الإنسان إرادته وحريّته، ويصبح مجرّد شيء بين الأشياء التي توجد في السوق، ويتحوّل كلّ شيء إلى أرقام، وليس للإنسان حاجة لمقاييس أخلاقيّة؛ لأنّ القانون السائد هو قانون العرض والطلب.[٤]

٣ - التنافس من أجل الربح:

تقوم الرأسماليّة أساسًا على رأس المال وتنميته ودفع الإنتاج؛ بغية تحقيق أقصى معدّلات الربح من خلال عمليّات الإنتاج المكثّفة؛ فالهدف الأسمى بالنسبة للرأسماليين هو في مضاعفة الأرباح، والسيطرة على الأسواق.[٥]

فالربح هو الحافز الأوّل للفرد في استمراريّة الإنتاج، وبالتالي فإنّ النظام الرأسماليّ يرفض تدخّل الدولة لأيّ سبب كان في الأنشطة الاقتصاديّة وخاصّة في توجيه وتحديد الأسعار، ويترك الأمر لقوى السوق في تحديدها وفقًا لقانون العرض والطلب، وأيّ تدخّل لهذه الدولة يضرّ بروح

---

(١) الرأسماليّة وفكرة العودة للطبيعة، د. عبد الوهاب المسيريّ، مجلة الطليعة، عدد فبراير ١٩٧١م، ص٦٤.

(٢) انظر: العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، حوار سوزان حرفي، ص١٣٤، ١٣٥، دار الفكر، دمشق، الرابعة، ٢٠١٣م.

(٣) انظر: الرأسماليّة وفكرة العودة للطبيعة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٦٤.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص٦٤، ٦٥.

(٥) أزمة الرأسماليّة وانعكاساتها على البلدان النامية، أمحمد حسين نصر، ص١٥٢.

المبادرة الفرديّة، ومن ثمّ يخلّ بقانون المنافسة، وهذا يؤدي إلى ضرب المبادئ التي قامت عليها الرأسماليّة ذاتها.[١]

وعلى الإنسان الراغب في تحقيق مزيد من الأرباح أن يُنافِس الآخرين منافسة لا هوادة فيها، وألّا يعتبر منافسيه من بني البشر؛ لأنّه لو آمن بآدميتهم ولو للحظة واحدة، فإنّه سيُدْخِل عنصر القيم الأخلاقيّة التي قد تقضي عليه، بل عليه أن يعتبرهم أشياء أو وحدات متنافسة، إنّ عين المنافس يجب أن تظلّ مُركَّزة على السوق، حتى يتسنّى له معرفة قوانينه والاستفادة بها لتحقيق مزيد من الأرباح.[٢]

ومن هذا المنطق يتحوّل السوق إلى ميدان يتنافس فيه الأفراد دون رقيب أو حسيب، وفي هذه الحالة سيكون البقاء للأصلح، ومن هنا كان الاستعمار والاستغلال والنهب الوحشيّ لشعوب المستعمرات والذي مارسته الليبراليّة؛ فقد كانت أوروبا تجد تسويغًا في عملها الإمبرياليّ في قوانين داروين[٣] ونظريات مالتوس[٤].[٥]

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٥٢.

(٢) انظر: الرأسماليّة وفكرة العودة للطبيعة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٦٥.

(٣) تشارلز روبرت داروين، عالِم أحياء بريطانيّ، ولد عام ١٨٠٩م، وتوفيَ في ١٩ أبريل ١٨٨٢م، من مؤلفاته: أصل الأنواع، رحلة عالم طبيعة حول العالم.

(٤) توماس روبرت مالتوس، اقتصاديّ بريطانيّ، ولد عام ١٧٦٦م، وتوفي ١٨٣٤م، أبرز عمل له هو مقال عن مبدأ السكان، وتتلخص نظريته في أنّ الناس يتكاثرون وفقًا لسلسلة هندسيّة، ولا طريق لتخفيف الضغط عن هذه الموارد إلا عن طريق إشاعة الحروب والأوبئة والمجاعات التي تفتك بالبشريّة. انظر: دراسات في العقائد الرأسماليّة، أحمد الشيبانيّ، ص٣٠.

(٥) أزمة الرأسماليّة وانعكاساتها على البلدان النامية، أمحمد حسين نصر، ص١٥٣، ١٥٤.

فالداروينيّة إذن هي المرجعيّة النهائيّة للنشاط الاقتصاديّ الرأسماليّ[١]؛ ولذلك فإنّ الرأسماليّ في صراع دائم، إنّه الصراع الذي يدفع بالشركات إلى مصارعة بعضها البعض؛ «إذ تحاول الشركات الكبرى تصفية الشركات الصغيرة أو المتوسطة وذلك إمّا عن طريق ابتلاعها بشراء أكثريّة أسهمها أو عن طريق منافستها منافسة شديدة بحيث تؤدي بالتالي إلى إفلاس الشركات الصغيرة أو المتوسطة ومن ثمّ انهيارها انهيارًا تامًا».[٢]

ومن أجل البحث الدائم والدؤوب عن الربح، يصبح العامل أيضًا سلعة، وهو الآخر خاضع لقانون العرض والطلب، وأجره يخضع لحاجة السوق الصناعيّة، ومقدار عدد العمال. فإذا كانت حاجة السوق كبيرة وعدد العمال لا يكفي ارتفعت الأجور، وإذا زادت العمالة عن حاجة السوق فعندئذ يُخفَّض الأجر، وفي حالة توازن عدد العمال وحاجة السوق فإنّ الأجر يحافظ على مستواه.[٣]

تطوّر الرأسماليّة:

كانت الرأسماليّة في «بدايتها تعتمد على التجارة وحريّة التبادل المطلقة وهو ما يسمّى بأسلوب الإنتاج السلعيّ، وفي القرن التاسع عشر أصبحت الصناعة منطلقها الأساسيّ، كما بدأت فكرة تدخّل الدولة في تنظيم الإنتاج والتبادل تأخذ طريقها شيئًا فشيئًا حتى القرن العشرين حيث أصبحت رأسماليّة صناعيّة - ماليّة، كما تعمّم تدخّل الدولة في مختلف الأنظمة الرأسماليّة نتيجة الأزمات الحادّة التي أدّت لها الحريّة المطلقة للإنتاج والتبادل من ناحية، ولحماية الأسواق الوطنيّة من

---

(١) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص١٨٥.

(٢) دراسات في العقائد الرأسماليّة – الاشتراكيّة – الشيوعيّة – الصهيونيّة، أحمد الشيبانيّ، ص٤٨، ٤٩.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص٣٦.

الغزو الاقتصاديّ الخارجيّ من ناحية أخرى. يُعبَّر عن هذه المرحلة الأخيرة برأسماليّة الدولة»[١]، وبهذا تخلّت الرأسماليّة عن أهمّ مبادئها وهو عدم تدخّل الدولة، وذلك تحت ضغط الأزمات الاقتصاديّة.

ويعدُّ أبرز تطوّر للرأسماليّة هو رأسماليّة الاستهلاك الذين نحن بصدد الحديث عنها، ورأسماليّة الكوارث، وهي رأسماليّة تنتظر الكارثة أو تصنعها حتى تستفيد الشركات من عمليّة الإعمار وغيرها، بُغية تحقيق الأرباح الطائلة. وقد أفردها كلٌّ من: نعومي كلاين، وأنطوني لوينشتاين بالكتابة والتحليل والنقد.[٢]

تعريف رأسماليّة الاستهلاك:

يدلّ مفهوم رأسماليّة الاستهلاك على «ترابط الأنشطة الاقتصاديّة مع الممارسات الثقافيّة، وهذه الممارسات تتحدَّد بدقة في ضوء رأس المال وسيكولوجيّة الأفراد».[٣]

وبناء عليه فإنّ رأسماليّة الاستهلاك: تيار رأسماليّ يعظّم الاستهلاك، وذلك باستخدام مجموعة من الآليّات والأدوات الإعلاميّة من أجل خلق رغبات وحاجات عند المستهلك للسلعة التي قد لا يحتاج إليها بقصد زيادة الأرباح.

---

(١) انظر: القاموس الاقتصاديّ، د. محمد بشير علية، ص١٩٢.

(٢) انظر: عقيدة الصدمة: صعود رأسماليّة الكوارث، نعومي كلاين، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت الثالثة، ٢٠١١م، ورأسماليّة الكوارث، أنتوني لوينشتاين، ترجمة: أحمد عبد الحميد، عالم المعرفة، عدد ٤٧٨، نوفمبر، ٢٠١٩م.

(٣) ثقافة الاستهلاك: المفهوم والقضايا النظريّة، رويدة أحمد محمد عيفة، ص٢٦٠.

نشأتها:

المعنى الأصليّ لكلمة Consummation كما يقول جيريمي ريفيكين[١]: «تعني التدمير، وكان يُستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى المرض الأشدّ فتكًا في تلك الحقبة، وهو مرض السلّ»[٢]، فالاستهلاك حتى بدايات القرن العشرين كان له دلالات سلبيّة؛ فكان يعني أن الشخص يُخرِّب أو ينهب أو يستنفذ أو يستنزف.[٣]

وقد ظهرت الفكرة التي تقول إنّ «الرأسماليّة أصبحت مجتمعًا استهلاكيًّا، - على أقلّ تقدير- في أوروبا الغربيّة، في خمسينيّات القرن العشرين، وذلك كردّ فعل للرفاهية المتزايدة وللتغيرات التي حدثت في البناء الاقتصاديّ والصناعيّ، حيث انتقل نقلة كبيرة من الصناعة الثقيلة التقليديّة في اتجاه التكنولوجيّات الحديثة وتوفير الخدمات، في الفترة التي أعقبت الحرب العالميّة الثانية، وقد أدّى هذا الوعي تدريجيًّا إلى تزايد الاهتمام بالاستهلاك كنشاط له دلالته الثقافيّة. ومع ذلك، فبالإمكان أن نعثر على النظريّات الهامّة للاستهلاك منذ أواخر القرن التاسع عشر فصاعدًا».[٤]

حيث بدأت الشركات في الستينات تواجه حقيقة جديدة هي الإنتاج الزائد مقابل متطلبات

---

(١) أكاديمي أمريكيّ، وباحث في علمي الاقتصاد والاجتماع، ولد عام ١٩٤٥م، من مؤلفاته: عصر الوصول، ونهاية العمل.

(٢) نهاية العمل- مأزق الرأسماليّ، جيريمي ريفكين، ص١٣٠، ترجمة وتقديم: أ. د رجب بو دبوس، دار الكتب الوطنيّة – بنغازي، الأولى، ٢٠٠٥م.

(٣) انظر: عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص٢٦٣، ٢٦٤، ترجمة: صباح صديق الدملوجيّ، مراجعة: د. حيدر حاج إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربيّة، الأولى، ٢٠٠٩ م.

(٤) موسوعة النظريّة الثقافيّة المفاهيم والمصطلحات الأساسيّة، أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، ص٦٣، ترجمة: هناء الجوهريّ، مراجعة وتعليق: محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، الثانية، ٢٠١٤ م.

المستهلكين المتضائلة. فلم تعُد المسألة كيف تنتج بسرعة كافية لتتماشى مع سوق المستهلك، بل بالأحرى كيف تستحوذ على انتباه المستهلك[١] من أجل تكييفه مع إنتاجيّة في تسارع مستمرّ[٢]، فإذا كانت الزيادة في حجم الإنتاج «زيادة ثوريّة كان لابدّ أن تكون زيادة الطلب ثوريّة أيضًا، وهكذا أضحت المشكلة لا تكمن في إنتاج السلع بل في إنتاج المستهلكين».[٣]

ومن هنا أدرك الرأسماليون أنّه «لا قدرة على إنعاش الاقتصاد ولا نموّ ممكن على المدى البعيد من دون طلب استهلاكيّ قويّ»[٤]، ومن ثمّ «بدأت تنسحب الرأسماليّة السلطويّة لتترك مكانها لرأسماليّة متعيّة ومتساهلة».[٥]

وسعى الرأسماليّون إلى «إحداث تغيير جذريّ في عقليّة الإنسان الذي يُفضِّل الادخار إلى مُستهلِك شره لا يشبع»[٦]، في حالة جوع دائم ونهم شديد ممّا يجعل السلعة بالنسبة إليه هي مركز الكون وليس الإنسان[٧]؛ «فلو شبع فإنّه قد يفيق، وقد يسأل عن السعادة والحياة والروح، وهذا ما

---

(١) انظر: عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص٢٠٨.

(٢) انظر: نهاية العمل- مأزق الرأسماليّ، جيريمي ريفكين، ص١٣٨.

(٣) أزمة نظام: الرأسماليّة والعولمة في مأزق، د. عبد الحي زلوم، ص١٠٥، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، الأولى، ٢٠٠٩م.

(٤) عصر الفراغ - الفردانيّة المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة، جيل ليبوفيتسكي، ص١٣٢.

(٥) المصدر السابق، ص ٥٤.

(٦) نهاية العمل- مأزق الرأسماليّ، جيريمي ريفكين، ص١٣١، ١٣٢.

(٧) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص ١٩٤.

لا يمكن للرأسماليّة تحمّله».[١]

ومن أجل إشعال لهيب الجوع الدائم فيه فلابدّ «أن تظهر سلعة جديدة كلّ يوم. ومن هنا يدخل الإنسان دائرة الإنتاج التي لا هدف لها والآخذة في الاتساع إلى ما لا نهاية».[٢]

وبهذا فإنّ انتشار رأسماليّة الاستهلاك يرجع إلى التطوّر التكنولوجيّ[٣] الذي جعل الإنتاج غير مسبوق في التاريخ الإنسانيّ، «فدورة الإنتاج لا تستمرّ من دون استهلاك يستوعب معروضاته. لذلك ليس أمام الإنتاج - ومن ورائه الرأسمال- غير تنمية معدّلات الاستهلاك؛ ليس من طريق تجويد المنتوجات فحسب، بل من طريق اصطناع حاجات جديدة تَخلِق مع الزمن، عوائدَ استهلاكيّة جديدة... وهكذا كان الاستهلاك والحاجة المستهلَكة الطاقة الدافعة لتحريك فاعليّة الإنتاج. اليوم، لم يعُد الاستهلاك هو من يخلِق الإنتاج ويبرّره، بل أضحى الإنتاج هو ما يخلِق الاستهلاك وينوّع من أشكاله! ».[٤]

فالهدف النهائيّ لشركات الأعمال التجاريّة هو خلق الزبون[٥]، وخلق الحاجات التي تعمل على إشباعها.[٦]

---

(١) الفردوس الأرضيّ - دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكيّة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٦٨، تنوير للإعلام، القاهرة، الأولى، ٢٠١٤م.

(٢) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٣١٠، ٣١١.

(٣) انظر: الرأسماليّة ثورة لا تهدأ، جويس أبلبي، ص٢٥٧.

(٤) مجتمع الاستهلاك أو رَسْمَلَة القيم، د.عبدالإله بلقزيز، مقال منشور بمجلة بدايات، لبنان، العدد ٢٣ سنة ٢٠٢١م، ص٦٤.

(٥) عصر الوصول - الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص٢٠٩.

(٦) نهاية العمل - مأزق الرأسماليّ، جيريمي ريفكين، ص١٣٢.

فالمجتمع الاستهلاكيّ بالتالي هو سيرورة دائريّة، يحتاج إلى أن يخلق وأن يستهلك، وبعد ذلك أن يدمّر الأشياء[١]؛ ليُعيد إنتاج غيرها، ولذلك فالسبب الحقيقيّ للحروب يتمثل في رغبة المجمع الصناعيّ العسكريّ في توظيف الأسلحة المنتجة واستهلاكها[٢] لدفع عجلة الإنتاج للاستمرار في الدوران.[٣]

وبهذا، فقد انتقلت البشريّة بذلك من ثقافة الإنتاج إلى ثقافة الاستهلاك بين ليلة وضحاها[٤]، وصار الاستهلاك إنجيلًا كما يسميه جيريمي ريفيكين.[٥]

التعديلات التي أحلّتها رأسماليّة الاستهلاك على الرأسماليّة:

١ - انتقال السوق إلى النفس البشريّة:

فقد بدأت رحلة الرأسماليّة بتحويل المواد والأرض إلى سلع، وانتهت بجعل الإنسان ذاته سلعة[٦] بتحويله إلى قيمة سوقيّة، ودوره «لا يكون فقط "تأجير" قوّته الجسديّة أو الذهنيّة مقابل أجر، بل إدارة نفسه كـ "قيمة سوقيّة"؛ يقايض ما لديه من مهارات ومعرفةٍ وقدراتٍ بأعلى سعر ممكن. وإذا لم تكن لديه مهارة أو معرفة أو قدرة خاصّة للتأجير، يؤجّر مرونته في ساعات العمل،

---

(١) النزعة الاستهلاكيّة من منظار بودريار، ستيوارت براي، مقال منشور بمجلة بدايات، لبنان، العدد ٢٣ سنة ٢٠٢١م، ص١٢، وانظر: العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٢٥٢.

(٢) فرأسماليّة الاستهلاك سبب مباشر في رأسماليّة الكوارث.

(٣) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ٢٧٦، والفردوس الأرضيّ، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٦٣، ودراسات في العقائد الرأسماليّة – الاشتراكيّة – الشيوعيّة – الصهيونيّة، أحمد الشيبانيّ، ص٥٥.

(٤) انظر: نهاية العمل- مأزق الرأسماليّ، جيريمي ريفكين، ص١٣٢، ومجتمع الاستهلاك أو رَسْمَلَة القيم، د.عبد الإله بلقزيز، ص٦١.

(٥) انظر: نهاية العمل- مأزق الرأسماليّ، جيريمي ريفكين، ص١٣٠.

(٦) انظر: عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص٣٦.

كونه متاحًا في أيّ وقت. إنّ قيمته التنافسيّة تنبع من أنّه "متاح" و"قابل للاستغلال ولإعادة الاستغلال". فهو لم يعد يشترط عقد عمل دائم، أو حدًّا أدنى للأجر، أو ساعات عمل ملائمة، أو معاشًا تقاعديًّا، أو أجرًا على الساعات الإضافيّة، أو زيادة سنويّة تتناسب مع نسبة التضخّم. والدولة النيوليبراليّة تحثّ وتحضّ الناس على زيادة قيمتهم السوقيّة، وذلك بأن يفكّروا ك - "مدراء يديرون أنفسهم بأنفسهم" للحصول على أكبر عائد ممكن من تأجير قدراتهم، وذلك عبر التدريب المستمرّ، وفهم احتياجات السوق، والاستعداد والجاهزيّة للاستجابة لتلك الاحتياجات».[١]

٢ - التنافس أصبح بين المستهلكين لا بين المنتجين:

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيريّ[٢]: «لم تَعد الحاجة مصدر معاناة تحتاج إلى إشباع وإنّما أصبحت على العكس من ذلك شيئًا يُحتَفى به. ولم يَعُد التنافس الأساسيّ بين المنتجين، كما هو الحال في الرأسماليّة الصناعيّة التنافسيّة، وإنّما بين المستهلكين. وأصبح الاستهلاك هو المجال الرئيسيّ الذي يتم فيه اغتراب الإنسان عن نفسه، حيث تتحدد وتُنتَج احتياجات الناس، وتوجّه الرغبات نحو ما تمّ تحديده وإنتاجه من قبل. وأصبح نمط الاستهلاك وإشباع اللذّة، وليس ممتلكات الفرد أو إنتاجيته، مؤشرًا على مكانته في المجتمع».[٣]

---

(١) المشروع النيوليبراليّ في أوروبا والمواطن منعدم القيمة السوقيّة، منال لطفي، مجلة الديمقراطيّة- مؤسسة الأهرام ج١٥، عدد ٦٠، اكتوبر ٢٠١٥م. ص١٥٧.

(٢) أكاديميّ وعالم اجتماع مصريّ، ولد عام ١٩٣٨م، وتوفي عام ٢٠٠٨م، أبرز أعماله: موسوعة اليهود واليهوديّة والصهيونيّة، والعلمانيّة الجزئيّة والعلمانيّة الشاملة، والعالم من منظور غربيّ، والفلسفة الماديّة وتفكيك الإنسان، والحلوليّة ووحدة الوجود.

(٣) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيري، ص٢٣٣.

٣ - رأسماليّة الاستهلاك أضحت نقطة التقاء بين الرأسماليّة والشيوعيّة:

فعولمة السلع والمبادئ التي تقوم عليها بنية العولمة، تُعدُّ مدخلًا أساسيًّا في انتشار رأسماليّة الاستهلاك.(١)

وإذا كانت الرأسماليّة والشيوعيّة في صراع مستمرّ، إلا أنّ الانتصار في النهاية كان للرأسماليّة، التي «انتشرت الآن في كلّ بقاع العالم تقريبًا، وأصبحت معظم الأمم جزءًا من نظام واحد متكامل للرأسماليّة العالميّة. واندمج شرق أوروبا في أوروبا الرأسماليّة، وبدأت روسيا تصبح قوّة رأسماليّة. أمّا الصين فعلى الرغم من كونها شيوعيّة رسميًّا إلا أنّها أصبحت تربة خصبة للرأسماليّة العالميّة».(٢)

فالاستهلاك الشره لكلّ المنتجات هو «النقطة التي يحدث عندها اللقاء بين النظامين الرأسماليّ والاشتراكيّ، فكلاهما قد دخل في سباق لاهث من أجل زيادة الإنتاج والاستهلاك».(٣)

٤ - لم يعد الاستهلاك على أساس المنفعة:

في الرأسماليّة القديمة كان المُستهلِك قادرًا على «الاختيار الحرّ بين السلع على أساس منفعتها أو على أساس قيمتها الاستعماليّة، وعلى هذا الأساس فإنّ السلعة التي لا نفع لهم فيها سوف تُرفض، وبهذا الشكل يحتفظ المستهلِك بقدر يسير من القوّة في تعامله مع هذه الرأسماليّة القديمة».(٤)

---

(١) انظر: ثقافة الاستهلاك: المفهوم والقضايا النظريّة، رويدة أحمد محمد عيفة، ص٢٦١.

(٢) الرأسماليّة الطاغية - التحوّلات في قطاع الأعمال والديمقراطيّة والحياة اليوميّة، روبرت ب رايش، ص٨، ترجمة: علا أحمد إصلاح، الدار الدوليّة للاستثمارات الثقافيّة – القاهرة، الأولى ٢٠١١م.

(٣) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٣٠٧، باختصار.

(٤) موسوعة النظريّة الثقافيّة المفاهيم والمصطلحات الأساسيّة، أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، ص٦٥.

في حين أنّ القيمة الاستعماليّة للسلع في ظلّ رأسماليّة الاستهلاك «قد أُخضِعت لسيطرة المنتِج الرأسماليّ، وذلك بفضل القوّة التي يتمتّع بها الإعلان ووسائل الاتصال الجماهيريّ... فالمُستهلِكون يشترون ما يريد الرأسماليّ منهم أن يشتروه»[١] أي أنّهم سلبوا حريّة اختيار السلعة التي ستعود عليهم بالنفع الفعليّ.

شراهة رأسماليّة الاستهلاك:

تظهر شراهة رأسماليّة الاستهلاك في عدّة مجالات أبرزها المجال الزراعيّ؛ «فقد قامت شركات علوم الحياة العابرة للقارات - ومن دون ضجّة - بشراء ما تبقّى من شركات البذور المستقلّة الملكيّة... مما يُعطيها تحكّمًا هائلًا ببلازما الأجنّة التي يتوقف عليها مجمل الإنتاج الزراعيّ، وتقوم الشركات بعد ذلك بتعديل البذور بصورة بسيطة أو بتجريدها من خصائص جينيّة محددة أو بدمج جينات جديدة فيها، والحصول على حماية **"لمخترعاتها" بواسطة براءات اختراع**. الهدف هو التحكّم بصفة ملكيّة فكريّة في مجمل خزين البذور في العالم، وتمتلك عشر من شركات علوم الحياة الآن ٣٢ في المائة من تجارة البذور البالغة ٢٣ مليار دولار».[٢]

وإذا كانت هناك براءات اختراع لهذه البذور، فما هو دور الفلاح إذن؟ هل يشتري هذه البذور ويبذرها في الأرض؟ يجيب جيريمي ريفيكين قائلًا: «البذور المغطّاة ببراءة اختراع لا تُباع بالمعنى الحقيقيّ للتعبير. بدلًا عن ذلك يتمّ تأجير البذور هذه إلى الفلاحين لاستخدامها لمرّة واحدة عبر موسم ذراعيّ واحد. أمّا البذور التي تُجمع خلال الحصاد فإنّها تعود إلى مالك براءة الاختراع لذا لا يمكن استخدامها من قبل الفلاح للموسم الزراعيّ التالي».[٣]

---

(١) المصدر السابق، ص٦٦، باختصار.

(٢) عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص١٤٠ باختصار.

(٣) المصدر السابق، ص١٤٢.

ولكن قد يستولي الفلاح على محصوله ومن ثمّ على البذور المستخدمة في زراعة الموسم القادم، من أجل هذا حرصت هذه الشركات على ضمان ألّا يتجاوز الفلّاحون براءات الاختراع «فقامت شركات علوم الحياة بابتكار حلّ تكنولوجيّ لتوكيد الالتزام بنسبة ١٠٠ في المائة. وقد حصلت كلّ من شركة "دلتا آند باين لاند" ووزارة الزراعة الأميريكيّة على **براءات اختراع عن تكنولوجيا تعقيم البذور والتي تحول دون إعادة استزراع البذور**».[١]

وبهذا لا يمكن الحصول على البذور التي يحتاجها الفلاح كلّ موسم زراعيّ إلا من خلال «حفنة من شركات علوم الحياة العابرة للقارات، ويمكن لهذا النظام أن يقلب الموازين نحو الإفلاس. ويتكلم لورانس بوش عالم الاجتماع من جامعة ميتشيغان الذي تابع النقاش نيابة عن جوقة متنامية العدد من المنتقدين قائلًا: إنّ الحروب والاضطرابات المدنيّة والكوارث الطبيعيّة تقع. وهذا النوع من الحوادث يمكن أن يُبيد تجهيزات البذور. وإذا لم يتمكن الفلّاحون من إعادة زرع ما يحصدون ويصبحون معتمدين كليًّا على هذا النمط، فإنّنا في الحقيقة نواجه إمكانيّة حصول مجاعة شاملة»[٢]؛ لأنّه لا توجد بذور صالحة للزراعة.

أساليب نشر رأسماليّة الاستهلاك:

إنّ رأسماليّة الاستهلاك منظومة متكاملة تعمل على خلق الزبون من أجل الربح، وأخذت في سبيل ذلك تدريب الجموع على أن يكونوا قوّة استهلاكيّة، كما كان النظام الصناعيّ في القرن التاسع عشر يُدرّب الجموع على أن يكونوا قوّة إنتاجيّة.[٣]

---

(١) المصدر السابق، ص١٤٣.

(٢) المصدر السابق، ص١٤٥.

(٣) انظر: وظيفة الاستهلاك في المجتمعات الرأسماليّة: مقدمة لدراسة تحليلية، د. زهير مناصفي، مجلّة المعرفة – وزارة الثقافة – سوريا عدد ٦٤٩، أكتوبر ٢٠١٧م. ص١٩٣.

ولقد كان النظام الصناعيّ - قديمًا - يُسيّطر على زمن الإنتاج فقط، بينما مع وضعيّة الوفرة، والتقدّم التقنيّ، وانتشار وسائل التواصل الجماهيريّ امتدّت السيطرة إلى زمن اللاعمل أي أوقات الفراغ الذي أخذ يُعبَّأ شيئًا فشيئًا لأجل الاستهلاك، فصارت الحياة الصناعيّة تدور حول الإنتاج وحياة الاستهلاك، (انتِج واستهلِك) .[١]

فروّجت الشركات الرأسماليّة لـ«فلسفة وقت الفراغ»[٢]؛ «فقامت بإنشاء صالات جيناز، وصالات للاحتفالات، وملاعب رياضيّة في الهواء الطلق، وحدائق، وحضانات أطفال»[٣]؛ وأضحت هذه صناعة قائمة على المتعة اللانهائيّة والرفاهية المتجددة بمنتجاتها اليوميّة. «فزمن اللاعمل هو زمن الاستهلاك الخاضع لمبدأ اللذّة... ومبدأ اللذّة له سيطرة تامة على السلوك والاختيار والآراء تحت صورة مزيفة من التحرّر / القيد».[٤]

إنّ رأسماليّة الاستهلاك «مشروع متكامل ابتنى هندستَه من معارف علميّة عن الإنسان- جسدًا ونفسًا، وتوسَّل إلى استدراجه بأدواتِ الإغراء المختلفة: المكتوبة والمسموعة والمرئيّة، ووفّر لنفسه الجسم الضروريّ من خبراء الهندسة الإنتاجيّة ومن خبراء التسويق. قَصْدَ تهيئة المستهلِك وتنمية روح الاستهلاك فيه».[٥]

فعلميّات التسويق هي عمليات تصميم وتخطيط للسلعة، وتستند إلى أبحاث السوق، ودراسة

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٩٤.

(٢) نهاية العمل- مأزق الرأسماليّ، جيريمي ريفكين، ص١٤٦.

(٣) المصدر السابق، ص١٤٦.

(٤) وظيفة الاستهلاك في المجتمعات الرأسماليّة، د. زهير مناصفي، ص١٩٤، باختصار.

(٥) مجتمع الاستهلاك أو رَسْمَلَة القيم، د.عبدالإله بلقزيز، ص٦٥.

دوافع المستهلكين[١]، وتنحصر مهمّة التسويق في التنقيب المستمرّ خلال الثقافة لإيجاد موضوعات جديدة بهدف استثارة الإنسان.[٢]

وقد استخدمت رأسماليّة الاستهلاك عدّة وسائل للترويج للسلع وتنمية روح الاستهلاك؛ منها:

١ - إيجاد حماية قانونيّة وتشريعيّة للاحتكار؛

مرّ بنا قبل قليل عمل شركات إنتاج البذور، والعمل على التحكّم في بلازما الأجنّة وتطويرها، وهذا التطوير والاكتشافات عدوها اختراعًا، وكان العمل على احتكار هذه الاكتشافات والتطوير باسم الاختراع، ومن ثمّ أيّ سطو على البذور أو الاستفادة منها دون إذن من هذه الشركات يعدّ جريمة يعاقب عليها القانون.

٢ - الفن والإعلانات؛

يُبنى عصر الاستهلاك كما يقول: جيل ليبوفتسكي[٣]: «على الإثارة المستمرة للرغبات الماديّة والشهوانيّة».[٤] وقد توجّهت الرأسماليّة الجديدة نحو المستهلك، «وأطلقت عقال الاحتياجات السايكولوجيّة[٥] المكبوتة، وذلك باستخدام الفنون للمساعدة في خلق ثقافة استهلاك واسعة،

---

(١) انظر: وظيفة الاستهلاك في المجتمعات الرأسماليّة، د. زهير مناصفي، ص١٩١.

(٢) انظر: عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص٣٢٢.

(٣) عالم اجتماع فرنسيّ وأستاذ جامعيّ، ولد عام ١٩٤٤م، من مؤلفاته: عصر الفراغ الفردانيّة المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة، وأفول الواجب - الأخلاق غير المؤلمة للأزمنة الديمقراطيّة الجديدة.

(٤) أفول الواجب - الأخلاق غير المؤلمة للأزمنة الديمقراطيّة الجديدة، جيل ليبوفيتسكي، ص٧٨، ترجمة: د. البشير عصام المراكشيّ، مركز نماء للبحوث، بيروت، الأولى، ٢٠١٨م، وانظر: عصر الفراغ، جيل ليبوفيتسكي، ص٢٠.

(٥) السيكولوجيا هو علم النفس، وهو علم يبحث في الظواهر النفسيّة وقوانينها. انظر: علم النفس، د. جميل صليبا، ص٦٣، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، الثانية، ١٩٨٤م.

وقامت الرأسماليّة الجديدة الموجّهة نحو الاستهلاك بسحب الفنون من عالم الثقافة، حيث أصبحت رهينة لشركات الإعلان واستشاريّ التسويق».[١]

فقامت «صناعة الإعلانات والإشهار، بشركاتها ومؤسساتها بإغراء جمهور المستهلكين بمنتوجات الاقتصاد الاستهلاكيّ. وسُخّرت لذلك وسائط إعلام متنوعة؛ من صحفيّة وإذاعة وتلفاز ومواقع إلكترونيّة ومنصّات تعليق الملصقات وكلّ وسيلة قابلة لتوزيع المادة الإشهاريّة البصريّة بالمصاحبة الكلاميّة ذات الحبكة السينمائيّة الفُرجويّة، أو بالبيانات المكتوبة تعريفًا بـ"فوائد" المادة المعروضة».[٢]

وقد استُخْدِمت أنواع شتّى من الإعلانات من أجل الترويج للسلعة؛ «فمصدر السعادة في حالة إعلانات السيارات هو اقتناء سيارة جميلة فارهة، سلعة قد تكون غير نافعة أو تتسم بصفات ليست بالضرورة نافعة، ولكنّها ولا شكّ لذيذة، ومن هنا توجد بجوار السيارة دائمًا فتاة شبه عارية تستخدم ساقيها لتوجيه أنظارنا للمزايا اللذيذة غير النافعة للسيارة... وهدف الإعلان اقتصاديّ نفعيّ، وهو بيع السلعة للإنسان الذي تحرّكه الدوافع الاقتصاديّة ويتمّ ذلك من خلال مخاطبة غرائزه الجنسيّة التي يحركها مبدأ اللذّة».[٣]

٣ - الإيهام بأنّ شراء السلع يجلب السعادة:

عملت رأسماليّة الاستهلاك على إيصال فكرة للمستهلك فحواها: أنّ الذي يقودنا إلى السعادة

---

(١) عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص٢٦٧.

(٢) مجتمع الاستهلاك أو رَسْمَلَة القيم، د.عبدالإله بلقزيز، ص٦٠، ٦١، والفردوس الأرضيّ – دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكيّة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٦٨، تنوير للإعلام، القاهرة، الأولى، ٢٠١٤م، ثقافة الاستهلاك: المفهوم والقضايا النظريّة، رويدة أحمد محمد عيفة، ص٢٦٢.

(٣) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٣٧، باختصار.

هو شراء السلع[١]، «فالعمل والإنتاج في المجتمع الرأسماليّ التقنيّ يُعاشان على صورة الأمّ الأثريّة بينما يعرض الاستهلاك وعالم اللاعمل على صورة الأمّ الجيدة... إنّ الاستهلاك هو عالم "يهتمّ" بنا "يعطف" علينا ويلفنا بالسلع التي تشبع حاجاتنا».[٢]

٤ - تضييق دورة حياة المُنتَج:

عملت رأسماليّة الاستهلاك على تضييق دورة حياة المنتج؛ لأجل تسيير دورة الإنتاج، بل ذهبت الشركات إلى عدم إيجاد بدائل للقِطَع التالفة من المنتجات بغرض التخلّص من المنتج "القديم" وشراء ما هو جديد، وعملت أيضًا على تحديث المنتجات بسرعة بالغة، ومع الآف المنتجات الجديدة المتداولة في السوق بنهج متسارع دومًا، لم يعد لدى المستهلكين اليوم، -بمن فيهم المستهلكون الذين شغفوا بالاستهلاك ويملكون القدرة الشرائيّة- وقتًا تقريبًا ليجرّبوا التكنولوجيّات أو المنتجات أو الخدمات الجديدة قبل أن يحلّ بديلها المطوَّر في السوق.[٣]

٥ - السلعة الرمز:

كانت رأسماليّة القرن التاسع عشر اقتصاديّة، وكانت التعاملات الماليّة والتفاعلات الاجتماعيّة مؤسسة على القيمة التبادليّة الخالصة فيما يتعلق بسلع تعتبر كمنافع وليس رموزًا.[٤]

أمّا رأسماليّة الاستهلاك فأظهرت أنّ «السلع والمنتجات تتمتع، بالإضافة إلى معانيها الأصليّة، بمعان تدخل في قانون السمات العلائقيّ كعناصر ذات دلالة ملبّية إشباعات رمزيّة غير الإشباعات

---

(١) انظر: وظيفة الاستهلاك في المجتمعات الرأسماليّة، د. زهير مناصفي، ص١٩٥.

(٢) المصدر السابق، ص٢٠٠، باختصار.

(٣) انظر: عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص٥٩.

(٤) انظر: ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة، مايك فيزرستون، ص١٢٣، ترجمة: أ.د فريال حسن خليفة، مراجعة: أ.د فتحي عبد الله دراج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م.

الرمزيّة التي توفرها السلعة».[١] وتكمن أهميّة السلع الماديّة أنّها حاويات أو وسائط نقل للقيم المعرفيّة[٢]، فلعب رجال الدعاية على «قيثارة المكانة الاجتماعيّة والتمييز»[٣]، وبهذا أصبحت العلامة التجاريّة للمستهلِك أكثر من الشيء ذاته.[٤]

«فنحن لا نستهلك أيّ شيء لذاته أو لقيمته الاستخداميّة، لكن بسبب قيمته الخاصّة بتبادل الإشارة، أي من أجل النفوذ، والوضعيّة، والدرجة الاجتماعيّة التي يوفرها».[٥]

لقد أصبحت الماركة هي «الدالّ المطلق الجديد على الهويّة».[٦] فالمستهلِكون لا يبحثون إلا عن الأبهة أو ملصق اجتماعيّ للتباهي.[٧]

والرموز هنا تقوم بالإشباع الوهميّ. فالحاجة من هذه الزاوية إلى سلعة معينة لا تعني شيئًا لأنّها لا تشبع الحاجة الحقيقيّة في الذات الإنسانيّة، وبالتالي فالإنسان المستهلِك المنطلق من هذا المنطق

---

(١) وظيفة الاستهلاك في المجتمعات الرأسماليّة، د. زهير مناصفي، ص١٩٢.

(٢) انظر: عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص١٧٣.

(٣) نهاية العمل- مأزق الرأسماليّ، جيريمي ريفكين، ص١٣٩.

(٤) انظر: ثقافة الرأسماليّة الجديدة، ريتشارد سينيت، ص١٧٨، ترجمة عبد الرحمن أياس، دار الفارابي، بيروت، الأولى، ٢٠٠٨م.

(٥) مملكة الموضة زوال متجدد – الموضة ومصيرها في المجتمعات الغربيّة، جيل ليبوفيتسكي، ص١٧٥، ترجمة: دينا مندور، المركز القوميّ للترجمة، الأولى، ٢٠١٧م، وانظر: ثقافة الاستهلاك: المفهوم والقضايا النظريّة، رويدة أحمد محمد عيفة، ص٢٦١.

(٦) الترف الخالد من عصر المقدس إلى زمن الماركات، إليت رو، ص١٣٠، ١٣١، ترجمة: الشيماء مجدي، مركز نماء للبحوث، بيروت، الأولى، ٢٠١٨م.

(٧) انظر: المصدر السابق، ص١٣١.

بحاجة دائمة إلى الاستهلاك.[١]

فالسلعة في هذا الإطار تصبح هي «البداية والنهاية وهي مركز الوجود، بل وهي التي تضفي معنى على حياة الإنسان الاستهلاكيّ».[٢]

ومن هنا تتوثّن السلعة؛ كما يقول الدكتور عبد الوهاب المسيريّ: «وفي المجتمعات الاستهلاكيّة، تصبح السلع ذات قيمة محوريّة في حياة الإنسان تتجاوز قيمتها الاقتصاديّة وغرضها الاستعماليّ، فكأنّ السلعة أصبحت لها قيمة كامنة فيها، لها حياتها الخاصّة ومسارها الخاص، متجاوزة الإنسان واحتياجاته، وهذا مثلٌ جيد على المرجعيّة الماديّة الكامنة (في السلعة) والتي تَجُبُّ المرجعيّات المتجاوزة كافة وضمنها المرجعيّة الإنسانيّة. لكلّ هذا، تصبح السلعة مثل الوثن، مركز الكون الكامن في المادة، الذي يعبده الإنسان والهدف الأوحد من الوجود».[٣]

والخلاصة، أنّ رأسماليّة الاستهلاك نشأت في ظلّ التطوّر التكنولوجيّ، وعملت على نشر ثقافة الاستهلاك بشتّى الوسائل، وسخّرت في سبيل ذلك الآلة الإعلاميّة والقانونيّة، ونشرت فلسفة اللذّة والمتعة موهمة أنّ الاستهلاك الشره للسلع هو السعادة.

---

(١) انظر: وظيفة الاستهلاك في المجتمعات الرأسماليّة، د. زهير مناصفي، ص١٩٣.

(٢) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٣١٠.

(٣) موسوعة اليهود واليهوديّة والصهيونيّة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ج١، ص٢٥٦، دار الشروق، الأولى، ١٩٩٩م.

المبحث الثاني: آثار رأسماليّة الاستهلاك على الإنسان والدين والأوطان والبيئة ودورها في موجات الغلاء العالميّة

تُعدّ رأسماليّة الاستهلاك من «أخطر إفرازات النموذج المعرفيّ الغربيّ الحديث»[١]؛ لأنّها تحكّمت في حياة الإنسان وسلوكيّاته، ومن ثمّ يقول جيل ليبوفيتسكي: «إننا محكومون بالاستهلاك».[٢]

وتكمن خطورة رأسماليّة الاستهلاك في ارتباطها «بفكرة التقدّم الماديّ، وأهمّ مؤشراته هو تصاعد معدَّلات الاستهلاك»[٣]؛ فالإنسان المُتقدّم هو المستهلِك، والمستهلِك هو المُتقدّم، وحياة المرء تكتسب معنى إن هو استهلك، ومزيدًا من المعنى إن هو صعَّد من استهلاكه.[٤]

فنحن إذن «لسنا أمام مفهومٍ مجرّد هو الاستهلاك، بل أمام واقع ماديّ جديد يسمّى الاقتصاد الاستهلاكيّ أو نمطٍ من العمل الإنتاجيّ يتغذّى من تنمية قيم الاستهلاك في المجتمع».[٥]

فالموضوع ليس عبارة عن استهلاك دون قيم، بل هو استهلاك مع القيم التي تحملها رأسماليّة الاستهلاك، هذه القيم تُشكّل إنسانًا جديدًا، وهذا هو الأثر المباشر الذي يقع على الإنسان وحريّته، وهناك آثار أخرى قد تُعدّ غير مباشرة كالبيئة والأوطان، وهناك أيضًا الدور الذي يلعبه الاستهلاك في ظهور المجاعات، وبالتالي موجات الغلاء العالميّة.

ومن هنا سألقي الضوء على هذه الآثار.

---

(١) العالم من منظور غربيّ، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص١٦٢، دار الهلال فبراير، ٢٠٠١م.

(٢) عصر الفراغ الفردانيّة المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة، جيل ليبوفيتسكي، ص١٢.

(٣) الهوية والحركيّة الإسلاميّة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص١٦٣.

(٤) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٣٠٩، ٣١٠.

(٥) مجتمع الاستهلاك أو رَسْمَلَة القيم، د.عبد الإله بلقزيز، ص٦٤.

أولاً: آثار رأسماليّة الاستهلاك على الإنسان

ما يقصده الباحثُ من لفظ الإنسان هو الإنسان المؤلّف من جسد وروح، الإنسان الربانيّ الذي يؤمن بقيم مفارقة للمادة، كالعدل والإحسان وحقوق الجار، الإنسان الذي يعرف حدوده والغاية من وجوده، ويعرف كذلك حقوق الآخرين من حريّة وقيمة إنسانيّة، بل ويتعدّى هذا إلى حقوق الحيوان والبيئة. هو ذلكم الإنسان الذي لا يعيش من أجل منفعة ذاته، وإنّما يعمل على إشباع الآخرين، بل والعمل على خدمتهم.

وقد عملتْ رأسماليّة الاستهلاك على محو هذا الإنسان وإيجاد إنسان آخر بديلًا عنه، واتخذت في سبيل ذلك مجموعة من الطرق منها:

١- تقديس اللذّة والإيمان بالاستهلاك قيمة محوريّة في الحياة:

مرّ الإنسان الغربيّ بعد عصر النهضة بعدّة مراحل أثّرت على مرجعيته المشكِّلة لتصوراته نحو الله والكون والإنسان؛ فقد هَدَم الغربيّ المرجعيّة الدينيّة في عصر النهضة، وبهدمها ظهرت مرجعيتان: **الأولى**: هي الإنسان نفسه؛ تقول جاكلين روس: «فقد استبدلت الثورة الفرنسيّة الله بالإنسان».[(١)]

والثانية: هي المادة أو الطبيعة؛ «فالمادة هي كلّ الموجود، وأنّ مظاهر الوجود على اختلافها نتيجة تطوّر متصل للقوى الماديّة»[(٢)]، والإنسان بناء على هذه المرجعيّة هو كائن ماديّ يسري عليه ما يسري على الطبيعة من قوانين، وظلّ النموذجان في صراع إلى أن ظهر **نيتشه** الذي نزع عن الطبيعة

---

(١) مغامرة الفكر الأوروبيّ – قصّة الأفكار الغربيّة، جاكلين روس، ص٢٦١، ترجمة: أمل ديبو، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، الأولى، ٢٠١١م.

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص٣٨٢، دار المعارف.

صفة الألوهيّة[١]، وكشف المصير الجديد للإنسان في عالم لم يعد لله فيه وجود.[٢] وحثَّ على محاربة ظلال الإله فقال: «متى تكفُّ ظلال الإله هاته عن حجب النور عنّا؟ »[٣]، وما يعنيه من مصطلح ظلال الإله هي التوجيهات الميتافيزيقيّة في المفردات اللغويّة والقضايا الأخلاقيّة، فالمفردات اللغويّة هيّ كلّ مفردة تحمل معنى أخلاقيّ مفارق كلفظ الإجهاض مثلًا، فهذا اللفظ مشحون ميافيزيقيًّا؛ لأنّه يحمل توجيهًا خفيًّا فحواه: أنّ هذا الفعل مذموم، ومن ثمّ يجب الابتعاد عن هذا اللفظ واستخدام مفردات أخرى تدلّ على الفعل دون أن تشير إلى الذمّ، ومن هنا استُخدِم مصطلح "حريّة الاختيار" ليكون بديلًا عنه ولا يحمل أيّ معنى مذموم بل قد يكون ممدوحًا؛ لأنّه مرتبط بلفظ الحريّة وهو لفظ مُحبّب للنفس البشريّة؛ وأمّا القضايا الأخلاقيّة مثل: القضايا الجازمة بأنّ اللواط جريمة، وهو حكم ميتافيزيقيّ يجب التخلّص منه، ويكون البديل هو المثليّة أو مجتمع الميم، وبهذا كانت دعوة نيتشه «لإلغاء كلّ الحقائق والثنائيات، وإعلان النسبيّة، وأنّ كلّ الأمور متساوية».[٤]

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيريّ: «عالم ما بعد الحداثة قد صُفِّي وطُهِّر تمامًا من المطلقات والمرجعيّة النهائيّة، فلا مركز ولا هامش، وإنّما عالم أفقيّ متساو مسطّح لا يوجد فيه وضع خاص أو مُتميِّز لأيّ شيء وضمن ذلك الإنسان، ولذا فهو عالم خالٍ من المعنى، لا يمكن للدّال أن يرتبط فيه بالمدلول؛ لأنّه عالم لا يحتوي على أيّ مطلق يربط بين التفاصيل كلّها؛ عالم نسبيّ تمامًا ولكنّه

---

(١) انظر: مغامرة الفكر الأوروبيّ، جاكلين روس، ص٣٤٩.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٣٤٩.

(٣) العلم المرح، فريدريك نيتشه، ص١٢٣، ترجمة: حسان بورقيّة، ومحمد الناجي، إفريقيا الشرق، الأولى، ١٩٩٣م.

(٤) مغامرة الفكر الأوروبيّ، جاكلين روس، ص٣٥٠.

مع هذا يخلع المطلقيّة على النسبيّة. **فالمرجعيّة النهائيّة هي إنكار المرجعيّة، والمطلق الثابت الوحيد هو النسبيّ المتغيِّر».**[١]

وفي النهاية فالإنسان الذي يخلو من أيّة مرجعيّة يكون المحرّك له هو اللذّة؛ يقول الدكتور عبد الوهاب المسيريّ: «في مرحلة ما بعد الحداثة أي بعد عام، ١٩٦٥م يكون الهدف النهائيّ من الوجود في الكون هو الاستهلاك والمزيد من الاستهلاك، وما يحرّك المستهلِك هو اللذّة؛ إذ لو حرّكته المنفعة لكانت كارثة؛ لأنّه لن يستهلك إلا ما يحتاج إليه، ومن ثمّ لن تتحرّك آلات المصانع التي تنتج آلاف السلع غير الضروريّة، ولن تزيد أرباح المنتجين ولن يتراكم رأس المال ... فانتقل النظام من المنفعة إلى اللذّة، وأصبح الاستهلاك لا الإنتاج هو هدف المجتمع، وأصبحت السعادة هي تحرّر الاستهلاك من الحاجات الماديّة أو الأساسيّة التي يتطلب الوفاء بها السلع ذات القيمة الاستعماليّة. ولم يَعُد هدف المجتمع إشباع الحاجات وإنّما تخليقها».[٢]

وإذا كانت الرأسماليّة هي الصانع الأبرز لثقافة المتعة كما يقول جيل ليبوفيتسكي[٣] فإنّ «اللذّة والاستهلاكيّة يدمِّران حدود الإنسان»[٤]؛ لأنّه إذا كان الهدف من وجود الإنسان في الكون هو تعظيم المنفعة واللذّة في إطار ماديّ. إذن سيظهر إنسان جديد هو «الإنسان الطبيعيّ/الماديّ، أي الإنسان الذي يدور في إطار النموذج الطبيعيّ/الماديّ: سماؤه هي السقف الماديّ، طموحه ماديّ، أحلامه ماديّة، أهدافه ودوافعه ماديّة ... تحرّكه الدوافع الاقتصاديّة، فهو إنسان اقتصاديّ، أو يحرّكه مبدأ اللذّة، فهو إنسان جسمانيّ، ومهما اختلفت الدوافع، فهي تظلّ، في نهاية الأمر وفي التحليل

---

(١) العلمانيّة الجزئيّة والعلمانيّة الشاملة، ج١، ص٢٤٢.

(٢) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٢٣٣ باختصار.

(٣) عصر الفراغ الفردانيّة المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة، جيل ليبوفيتسكي، ص٨٨.

(٤) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٢١.

الأخير، ماديّة، يمكن ردّها إلى الطبيعة/المادة، فهو إنسان طبيعيّ/ماديّ. وهَمّ هذا الإنسان الطبيعيّ/الماديّ الأوحد هو تصعيد الاستهلاك، ولذا فعليه تسخير كلّ الموارد الطبيعيّة والبشريّة التي حوله لصالحه».[١]

ومن ثمّ أعلن الفيلسوف الفرنسيّ ميشيل فوكو موت الإنسان سنة ١٩٦٦م[٢]، وحلَّ محلّه السلعة التي أزاحته من المركز، «ومن هنا جاء مصطلح commodification الذي يعني أنّ السلعة تزيح الإنسان من مركز الكون لتحلّ محلّه، وتصبح السلعة أكثر أهميّة من الإنسان».[٣]

وبعد إيجاد هذا الإنسان حرصت رأسماليّة الاستهلاك على تعميمه في العالم بأسره؛ فتهدف العولمة إلى «إسقاط الحدود التاريخيّة والسياسيّة ليسود الإنسان الاقتصاديّ/الجسمانيّ وليصبح العالم بأسره سوقًا/مصنعًا وشركة سياحيّة».[٤]

صفات الإنسان الاقتصاديّ/ الجسمانيّ:

هذا الإنسان الاقتصاديّ/الجسمانيّ يتّصف بعدّة صفات منها:

١- أنّه إنسان نمطيّ يُنتج ليستهلِك ويستهلِك لينتج، ولا معنى للوجود عنده إلا هذا؛ يقول الدكتور عبد الوهاب المسيريّ: «الإنسان الجسمانيّ إنسان نمطيّ يعيش ليستهلك وتكتسب حياته معنى من معدلات الاستهلاك التي يحققها. وهو شأنه شأن الإنسان الاقتصاديّ لا يتحرّك في إطار أيّ ثوابت أخلاقيّة أو معرفيّة، ومع هذا هو خاضع للحتميّة البيولوجيّة (خضوع الإنسان الاقتصاديّ

---

(١) المصدر السابق، ص٣٦ باختصار.

(٢) انظر: مغامرة الفكر الأوروبيّ، جاكلين روس، ص٤٠٥.

(٣) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٣١٠.

(٤) العالم من منظور غربيّ، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص١٦٦، وانظر: العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٣٩، ٤٠.

للحتميّة الاقتصاديّة) »،[١] هذا الإنسان يوظَّف من أجل خدمة رأسماليّة الاستهلاك ففي المصنع يوظَّف في إنتاج السلع وبالتالي تنتقل إلى السوق، وهنا يكون دور الإنسان ليس الإنتاج بل الاستهلاك، فهو ينتج ليستهلك، **ويستهلك لينتج ويدور هكذا في هذا الإطار.**

٢- هذا الإنسان لا يخدِم إلا مصلحته، فيعيش في صراع دائم مع الآخرين؛ يقول الدكتور عبد الوهاب المسيريّ: «هذا الإنسان الاقتصاديّ لا يخدم إلا مصلحته ولا يسعى إلا إلى تحقيقها، ويتصارع مع الآخرين خارج نطاق أيّ مطلقات أخلاقيّة أو ثوابت معرفيّة».[٢]

٣- هذا الإنسان تُحرّكه العناصر الجسديّة «فالإنسان الجسمانيّ هو تبدّي لمبدأ اللذّة... وقطاع اللذّة في المجتمع (شركات سياحيّة - نوادي رياضيّة - نوادي ليليّة - مجلات وأفلام إباحيّة - مراقص ديسكو إلخ) هي تعبير عن الإنسان الجسمانيّ الذي تحرّكه دوافعه الجسديّة (جهازه العصبيّ - غددهرغباته الجنسيّة) ».[٣]

٤- هو إنسان مُستعبَد؛ لأنّ رأسماليّة الاستهلاك تقوم على التنوّع الكبير في السلع، والاختيار بين البدائل متاح، ومعه يشعر الإنسان بالحريّة. هذا هو الظاهر، لكنّ الحقيقة أنّه كلّما وجِد إنسان يقدّس اللذّة كمرجعيّة وحيدة ونهائيّة، وجد إنسان مُستَعبَد لا حريّة له «فمجال الاختيار في الأمور المهمّة المصيريّة والإنسانيّة قد تقلّص واختفى».[٤]

فرأسماليّة الاستهلاك تولِّد «قيمًا اجتماعيّة استهلاكيّة (أحيانًا حيوانيّة) **تستعبد الإنسان**، وتعطِّل فيه ملَكات العقل والإنتاج والعمل، والتوازن في الإنفاق، ليتحوّل، من حيث لا يدري، إلى حيوان

---

(١) العالم من منظور غربيّ، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص١٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٣) المصدر السابق، ص١٥٧، ١٥٨.

(٤) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٣٨.

مستهلِك»![1]

ويسمّي ماركوز هذه المجتمعات مجتمعات ديمقراطيّة لا تتمتّع بالحريّة[2]، وفي النهاية هذا الإنسان الذي صنعته رأسماليّة الاستهلاك هو «نموذج من البشر؛ العيش المريح جزءٌ من حياتهم ...أكثر اهتمامًا في الحصول على تجارب ممتعة ومسلّية وقادرون على التفاعل مع عوالم متوازية بصورة آنيّة، وسريعون في تغيير شخصيتهم لتتماشى مع واقع جديد يوضع أمامهم سواء كان ذلك حقيقيّا أم مُزيّفًا. إنّهم رجال ونساء القرن الحادي والعشرين، وهم نسل مختلف عن آبائهم وأجدادهم من بورجوازيي العصر الصناعيّ».[3]

٢- تسليع الإنسان وأحلامه:

لم تقتصر رأسماليّة الاستهلاك على إيجاد إنسان يقدِّس اللذّة فقط، بل إنّها جعلت من الإنسان نفسه ووقته سلعة من السلع؛ يقول جيريمي ريفيكين: «وفي اقتصاد الرأسماليّة الفائقة يكون مجمل وقتنا تقريبًا حوِّل إلى سلعة».[4]

ولذلك يعرض الإنسان نفسه كسلعة من السلع، بل إنّ «هناك أسئلة تطرحها مكاتب التوظيف في الدول الأوروبيّة على الملايين من الباحثين عن العمل وهي: كم تساوي في سوق العمل؟ كيف يمكن أن تُزِيد قيمتك السوقيّة في بلدك أو خارجها؟ ما هو التدريب الذي تحتاجه لرفع قيمة تأجيرك في سوق العمل؟ هل أنت مرن كي تقبل شروط وساعات عمل معيّنة؟ وهل لديك خصائص تميّزك

---

(١) مجتمع الاستهلاك أو رَسْمَلَة القيم، د.عبدالإله بلقزيز، ص٦٤.

(٢) انظر: العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٣٨.

(٣) عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص٣٤٧ باختصار.

(٤) المصدر السابق، ص٣٧.

عن غيرك وتعطيك أفضليّة مثل السن أو العرق أو اللون؟ ».[١]

ففي رأسماليّة الاستهلاك يتحوّل الفرد إلى "قيمة سوقيّة" كما مرّ أن عرضنا، بل تجاوز الأمر هذا الحدّ؛ «فإنّ دولًا تسمح ببيع الدم والمنيّ، وتُبيح مكافأة من يقدمون أنفسهم بشكل احترافيّ حقول تجارب في الحث الطبيّ، وتعترف بحقّ التملّك التجاريّ للجسد».[٢]

وأيضًا تمّ في هذا النظام **تسليع أحلام الإنسان** فالذي يحدُث في المجتمعات المعاصرة أنّ «الأثرياء تتصاعد لديهم معدّلات التوجّه نحو اللذّة والاستهلاكيّة، والفقراء يحلمون بالوصول للشيء نفسه، فالاختراق يحدث للجميع».[٣]

فلم تعد أحلام الإنسان تتمركز حول رضا الله تعالى، أو تتمركز حول الإنسانيّة وإشباع الجائع ورعاية الضعيف، وإطعام المسكين؛ لأنّه إنسان له حق العيش بكرامة، وإنّما تمركزت حول السلع، وصار حلمه أن يركب سيارة من النوعيّات الفاخرة، وأن يكون ملبسه من نوعيّة كذا وكذا، «وأصبح يرى ذاته باعتباره منتِجًا ومستهلِكًا وحسب، دون أدنى إحساس بأيّة غائيّة كبرى أو هدف أعظم، ويرى أنّ تحقق ذاته إنّما يكمن في حصوله على السلع، ويتمّ إشباع كلّ رغبات هذا الإنسان داخل مجال السلع هذا».[٤]

فهي عمليّة «استيلاء كاملة على باطن الإنسان، تُدخل في روعه أنّ هذا الحلم هو حلمه وحده، وأنّ هذه السلعة سبيله الوحيد لتحقيق ذاته، مع أنّه في واقع الأمر وسيلة تجعل تطلّعه وأحلامه مثل

---

(١) انظر: المشروع النيوليبراليّ في أوروبا والمواطن منعدم القيمة السوقيّة، منال لطفي، ص١٥٦.

(٢) أفول الواجب – الأخلاق غير المؤلمة للأزمنة الديمقراطيّة الجديدة، جيل ليبوفتسكي، ص١٠٨.

(٣) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص١٥٢.

(٤) المصدر السابق، ص٣٨.

تطلّعات وأحلام الآخرين، وبذا يمكن للآلة الاستهلاكيّة الاستمرار في الدوران».[١]

الإنسان منعدم القيمة السوقيّة:

أدّت سياسة رأسماليّة الاستهلاك وتحويل الإنسان إلى سلعة إلى وجود طبقة لم يستطيعوا تطوير قدراتهم فهم من محدودي أو منعدمي القيمة السوقيّة. **فما الذي ستفعله الدولة بهم؟**

هناك أربعة طرق ابتكرتها الدول في أوروبا للتعامل مع "منعدمي" أو "محدودي" القيمة السوقيّة، تقوم على:

أ- الإخفاء والتجاهل والتلاعب بعدد عقود العمل:

فارتفاع معدّلات البطالة يعدّ من أهمّ العوامل الطاردة للاستثمار في أيّ دولة من الدول، وبرامج الرعاية الاجتماعيّة باهظة التكاليف لدعم العاطلين عن العمل وأصحاب القيمة السوقيّة المحدودة تعدّ أكبر طارد لرأس المال الدوليّ. ولحلّ هذه المشكلة، تتعمّد الكثير من الدول الأوروبيّة "إخفاء" و"تعتيم" البيانات الحقيقيّة للعاطلين عن العمل، كما تفعل البرتغال، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وإسبانيا، وأيرلندا، واليونان على سبيل المثال. والطريقة التي تتبعها هذه الدول هي استحداث عقود عمل جديدة تعني نظريًّا توظيف عشرات الملايين، لكن عمليًّا على الأرض يكون الوضع مختلفًا تمامًا، أو دفع أصحاب القيمة السوقيّة الضعيفة للمعاش المبكر، أو إعلانهم معوّقين غير قادرين على العمل أصلًا، أو تخرجهم الدولة من إحصاءات البطالة إذا رفضوا قبول أعمال معينة، أو تحذفهم الدولة إذا لم يسجلوا أنفسهم في مراكز توظيف.[٢]

ب- المضايقة والملاحقة حتى الموت:

ويتمّ ذلك عبر تشديد القيود وتعزيز صعوبة الإجراءات للحصول على الرعاية الاجتماعيّة من

---

(١) المصدر السابق، ص٣٨.

(٢) انظر: المشروع النيوليبراليّ في أوروبا والمواطن منعدم القيمة السوقيّة، منال لطفي، ص١٥٩.

الدولة. كما يحدث في غالبيّة البلدان الأوروبيّة. ومن بينها إيطاليا، وبريطانيا، وفرنسا مثلًا. فالمضايقة وجعل شروط وقواعد معقدة للرعاية الاجتماعيّة لا يستطيع معها هؤلاء من الحصول على هذه الرعاية[١]، ومن ثمّ ينتهي بهم الحال إلى التشرّد في الشوارع الذي يفضي بهم إلى الموت.

جـ - طرد واستبدال السكان:

في الدول الأوربيّة التي لم تتعاف من أزمة ٢٠٠٨م، ولا تزال نسبة النموّ فيها بالسلب، ومنها كاليونان، وإسبانيا، وإيطاليا والبرتغال، وأيرلندا ففي هذه البلاد تطلب الحكومة من المواطنين خاصّة الشباب صراحة أو ضمنًا مغادرة البلد، والتوجّه لبلاد أخرى يكون لهم فيها "قيمة سوقيّة أعلى" على أساس اللغة أو العراق أو النوع أو اللون أو التعليم أو السن.

د - منع دخول منعدمي القيمة السوقيّة: أو أصحاب القيمة السوقيّة الضئيلة البلاد

فتُمنع الهجرة الشرعيّة إلى أوروبا وداخل أوروبا بقدر الإمكان. فكلّ هجرة سيئة الآن بالنسبة لأوروبا باستثناء الهجرة القابلة للاستغلال وإعادة الاستغلال، أو هجرة الأثرياء ورجال الأعمال والمستثمرين الدوليين داخل أوروبا بحثًا عن أفضل شروط ممكنة من حيث الضرائب على الدخل أو رأس المال.[٢]

بؤس الإنسان الاستهلاكيّ:

لم يقتصر البؤس على الإنسان منعدم أو منخفض القيمة السوقيّة، بل تعدّى هذا إلى الإنسان فائق الاستهلاك صاحب الإمكانيّات، وهذا البؤس يُرجعه الدكتور عبد الوهاب المسيريّ إلى سقوط الإنسان في التوجّه الشديد نحو اللذّة والرغبة النهمة في الاستهلاك، «والاستهلاك لا نهاية له ولا حدود، فالإنسان في هذا الإطار لا يشعر قط بالشبع مهما استهلك، بل إنّه يطالب بالمزيد ويزداد

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٦١.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص١٦٢، ١٦٣.

جوعًا وشراهة وبؤسًا».[١]

وهناك سبب آخر هو إغراقه بالديون؛ فقد بدأت رأسماليّة الاستهلاك بالسيطرة على الإنسان عندما أصبح التسليف للمستهلكين - لأوّل مرّة - آليّة ميسّرة في ثمانينيات القرن التاسع عشر، وفي العقد الأوّل من القرن العشرين بدأت المتاجر باستحداث "نوادي الدفع بالتقسيط" لبيع السلع الأغلى سعرًا، ويستطيع الزبائن دفع قيمة مشترياتهم على أقساط شهريّة عبر مدّة متطاولة من الزمن.[٢]

فعندما أصبحت «مستويات القدرة الشرائيّة العامّة منخفضة وهي التي تكبح منزِع الاستهلاك، لتدنّيها، أوجدوا نظام أقساط الدفع بدلًا من القروض البنكيّة»[٣]، وهذا النوع من الأقساط هو في الحقيقة ديون على المستهلِك حتى إنّه أواسط العشرينيات كان الأميركيون غارقين حتى آذانهم في الديون.[٤]

يقول جيريمي ريفيكين: «إنّ إقراض المستهلكين قد قلب العديد من الأميركيين من موفرين إلى مدينين».[٥]

وتبعًا لدراسة أعدّها اتحاد المستهلكين الأميركيّ هناك ٥٦ إلى ٦٠ مليون أسرة على كلٍّ منها دين يتجاوز ٦٠٠٠ دولار وتدفع كلّ منها أكثر من ١٠٠٠ دولار كفائدة وخدمة على ذلك القرض، وفي

---

(١) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٦٢.

(٢) انظر: عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص٨٦.

(٣) مجتمع الاستهلاك أو رَسْمَلَة القيم، د.عبدالإله بلقزيز، ص٦٦.

(٤) انظر: عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص٨٧، وثقافة الاستهلاك: المفهوم والقضايا النظريّة، رويدة أحمد محمد عيفة، ص٢٦١.

(٥) عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص٩٢.

سنة ١٩٩٦م كان متاحًا للمستهلكين ١، ٢ ترليون دولار في خطوط الإقراض المستخدمة في بطاقاتهم، وفي نفس الوقت كان اقتراض المستهلكين يتزايد بنسبة سنويّة تبلغ ٩ في المائة.(١)

وبالطبع فإنّ النظام المصرفيّ مستعدّ لإتاحة خطوط الإقراض بسرعة كافية لتتماشى مع الإنتاج، فالتوفير ليس بتلك الأهميّة حتى يكون كابحًا للنموّ الاقتصاديّ.(٢)

والخلاصة، «أنّ النزعة الاستهلاكيّة المفرطة التي شجعتها الرأسماليّة المُعولَمة دفعت ملايين البشر لأن ينفقوا بما يتعدّى دخولهم، ودفعهم ذلك إلى الاقتراض من المصارف وعجزهم لاحقًا عن السداد؛ ما أدّى إلى إفلاسهم وإفلاس المصارف أيضًا، ما أدى إلى أسوأ حالة اقتصاديّة عرفها العالم منذ فترة الكساد الكبير».(٣) وهي الأزمة المعروفة بأزمة الرهن العقاريّ والتي بدأت عام ٢٠٠٨م، ودخول الإنسان في دوّامة الديون والفوائد التي هي أهمّ أسباب بؤسه؛ فالدَّين همّ بالليل ومذلّة بالنهار.

ثانيًا: آثار رأسماليّة الاستهلاك على الدِّين.

إنّ القاعدة المنطقيّة تقول: إذا وجد الملزوم وجد اللازم، وإيجاد إنسان لا يؤمن إلا باللذّة كمقدّس يلزم منه هدم الدين والتديّن؛ فالدِّين يعمل على تهذيب النفس على الاعتدال والاقتصاد، خاصّة الدين الإسلاميّ الذي يحثّ على الاقتصاد في الإنفاق؛ قال تعالى: ﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١]، وجعل المبذّرين إخوانًا للشياطين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٨٩، ٩٠.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٩٢.

(٣) الأزمة الاقتصاديّة العالميّة: أسبابها وتدعياتها على الاقتصاد العالمي المرحلة الأولى، ٢٠٠٨ – ٢٠١١، د. قحطان السيوفيّ، ص٦٧، ٦٨، الهيئة العامة السوريّة للكتاب، دمشق، ٢٠١٢م.

لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧]، ووصف عباد الرحمن بأنّهم: ﴿إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]

ومن هنا فإنّ رأسماليّة الاستهلاك كما يقول مايك فيزرستون: «تؤدّي إلى الفقر الروحيّ، وأنانيّة اللذّة بفلسفتها "عش اللحظة أو الآن والدفع أخيرًا" أو "عش اللحظة والدفع مؤجّل" وهذه الفلسفة ضدّ نظم النسك أو الزهد مباشرة، والصناعة وتدبر العواقب وحسن التدبير أو الاقتصاد والذي هو من تعليم الدين عامّة وإرث المدققين في أمور الدين خاصّة».[١]

فالثقافة الاستهلاكيّة ليست ثقافة تحمل مظاهر ثقافات الشعوب التقليديّة من قيم واعتقادات وفنون، بل تعني بالدرجة الأولى بالجوانب الغريزيّة بالإنسان، وبالمظاهر والكماليّات الشكليّة التي تحدّد قيمة الإنسان بمقدار ما يقتنيه من أشياء ماديّة أو مال، وحوّلت جميع مظاهر الثقافة، وأبرزها الفنون إلى سلعة تجاريّة.[٢]

فهي ثقافة شديدة العداء لكلّ ما هو من الماضي، ولكلّ ما هو تقليديّ، والوجهة هي خدمة الأهواء[٣]، «وأصبحت المتعيّة هي المبدأ المحوريّ للثقافة المعاصرة»[٤]، بل وغدت «المتعة وتحفيز الحواس قيمًا مهيمنة على الحياة اليوميّة».[٥]

فالاستهلاك كما يرى مايك فيزرستون مدمّر للدين بشرط التأكيد على مذهب اللذّة أو السعادة

---

(١) ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة، مايك فيزرستون، ص٢٢٦.

(٢) انظر: الهويّة وثقافة العولمة، عبد الله الجسميّ، مجلّة العربيّ العدد ٥٦٠ لسنة ٢٠٠٥م. رابطه على موقع المجلّة: https: //alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/8655

(٣) انظر: أزمة نظام: الرأسماليّة والعولمة في مأزق، د. عبد الحي زلوم، ص١٠٦.

(٤) عصر الفراغ الفردانيّة المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة، جيل ليبوفيتسكي، ص٨٨.

(٥) المصدر السابق، ص١٠٩.

الآنيّة[١]، وتدمير الدين يأتي كما يقول جيريمي ريفيكين: من «شبه التقديس الوثنيّ للاستهلاكيّة»[٢]، فالإيمان باللذّة مرجعيّة نهائيّة، وتقديس السلع يؤدي حتمًا إلى تدمير التديّن، بل وإنكار الدين وجحود تعاليمه.

ثالثًا: آثار رأسماليّة الاستهلاك على الأوطان

يؤكد جيل ليبوفيتسكي على أنّ «المتعيّة تؤدي إلى فقدان المواطنة، وإلى التمركز حول الذات واللامبالاة بالمصلحة العامّة»[٣]، ولقد أظهرت الأحداث «قوّة التطلعات إلى الرفاهيّة والاستهلاك أكثر من الحماسة الوطنيّة».[٤]

والعلّة في فقدان الحماسة الوطنيّة وعدم مراعاة مصالح الوطن أنّ المصلحة الشخصيّة والمنفعة والخلاص من خلال السلعة واللذّة تُقدَّم على كلّ مصلحة، ومن هنا «لم يعد الشباب مكترثًا بمفاهيم مثاليّة مثل "الكفاح من أجل الوطن" و"التضحية من أجله". فأحكمت الحضارة الاستهلاكيّة قبضتها عليه. لكلّ هذا وجَدت القوى الإمبرياليّة بعد ارتطامها بحدود السوق العالميّ وبعد اكتشاف عجزها عن المواجهة العسكريّة، أنّ المخرج الوحيد لها هو نشر النزعة الاستهلاكيّة في بقية أنحاء العالم»[٥]؛ حتى يُعمّم مفهوم عدم الانتماء للأوطان ومراعاة مصالحه والتفاني من أجله.

---

(١) انظر: ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة، مايك فيزرستون، ص٢٢٥.

(٢) عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص١٦٨.

(٣) عصر الفراغ الفردانيّة المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة، جيل ليبوفيتسكي، ص١٣٣.

(٤) أفول الواجب - الأخلاق غير المؤلمة للأزمنة الديمقراطيّة الجديدة، جيل ليبوفتسكي، ص٢١٠.

(٥) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص ٣٠٩.

رابعًا: آثار الرأسماليّة الاستهلاكيّة على البيئة

المقصود بالبيئة البيئة الطبيعيّة، وهي «عبارة عن المظاهر التي لا دخل للإنسان في وجودها أو استخدامها ومن مظاهرها: الصحراء، البحار، المناخ، التضاريس، والماء السطحيّ، والجوفيّ والحياة النباتيّة والحيوانيّة. والبيئة الطبيعيّة ذات تأثير مباشر أو غير مباشر في حياة أيّة جماعة حيّة من نبات أو حيوان أو إنسان».(١)

ويتطرّق الحديث هنا عن دور الاستهلاك في تدمير الأرض، والواجب الأخلاقيّ نحو الطبيعة.

أمّا عن الأوّل: دور الاستهلاك في تدمير الأرض:

فقد نظر الإنسان قديمًا إلى الطبيعة ومظاهرها، فوجد فيها القوّة القاتلة، ومن ثمّ ألّهها البعض، وفي هذه العصور الحديثة اكتشف الإنسان أنّ الطّبيعة لم تَعُد تلك «الأسطورة القويّة التي قهرت الإنسان وبرهنت له دائمًا على حدود سلطته، بل صارت شيئًا هشًّا ومهدَدًا من جانب الإنسان والتكنولوجيا، وهي لا تستطيع الدّفاع عن نفسها مثل أيّ كائن بشريّ، لذلك فهي موضوع مسؤوليّة الإنسان، عليه أن يحميها من الخطر ويُحافظ عليها لمصلحة الأجيال المقبلة وحاجاتها المستدامة. لقد ظلّت البيئة الطبيعيّة دومًا موطنًا لنا، ومصدرًا لكلّ حاجياتنا ومصالحنا الآنيّة والبشعة. ولم يتضح سوى الآن، أنّ بعض الأنشطة البشريّة لها تأثير مُدمّر على البيئة مما قلب معادلة تعامل الإنسان مع البيئة ليس من موقع التّفوق ولكن من موقع الخوف على مصير الإنسان ذاته».(٢)

---

(١) تلوّث بيئة الإنسان بالمعادن الثقيلة وطرق المعالجة، د. سعد الله نجم النعيميّ، ص١٦، دار الكتب العلميّة، بيروت.

(٢) تفكيك الرّأسماليّة بحث في تقويض المُشترك الإنساني البيئيّ، الحسين شكرانيّ، عبد الرزاق بلمير، المستقبل العربيّ، ج٤٥، عدد ٥٢٩، مارس ٢٠٢٣م، ص٦٤، وانظر: البيئة تاريخ الفكرة، بول وورد، ليبي روبن، سفوركر سورلن، ص٢٢، ترجمة: سعيد منتاق، عالم المعرفة - الكويت، عدد ٥٠٦، مايو، ٢٠٢٣م.

لقد ثبت علميًّا أنّ «النظام البيئيّ مركّب لدرجة أنّه حينما نبني خزانًا فإنّ المياه المتجمعة وراءه تؤثر في السُحب وفي الأسماك، وهذا ما نراه، لكن ثمّة عناصر لا نراها تؤثر في القشرة الأرضيّة والزلازل. فعلى سبيل المثال النفايات النوويّة. حتى الآن لم يتم اكتشاف طريقة للتخلّص من هذه النفايات. لقد تمّ دفنها على عمق عدّة كيلو مترات في باطن الأرض في نيفادا، وأكدوا أنّها لا يمكن أن تتسرّب قبل مئتين وخمسين ألف سنة، ولكنّها تسرّبت بعد عامين اثنين، وطريقة التسرّب نفسها حاولوا دراستها ووجدوا أنّها مثل بصمات الأصابع يختلف مسارها من مكان إلى آخر، ومن ثمّ عمليّة رصدها ومحاولة اكتشاف نمط التسرّب، حتى يمكننا وقفه، هي محاولة غير مجدية».[١]

وتنظر رأسماليّة الاستهلاك إلى الطبيعة على أنّها «مادة استعماليّة لا قداسة لها، توظَّف وتُصنّع وتُستهلك وتولّد منها الطاقة من أجل تحقيق لذّة الإنسان ومنفعته، الأمر الذي يتطلّب المزيد من استهلاك مصادر الطبيعة بمعدّلات لا نظير لها في تاريخ الإنسان. ويؤدّي هذا إلى تلوّث البحار والأرض والسماء (موت الطبيعة)»[٢]، مما يعني أنّ تصاعد معدّلات الاستهلاك هو السبب الرئيسيّ في الأزمة البيئيّة.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيريّ: «إنّ العالم مقبل على كارثة بيئيّة بسبب التصاعد المتسارع لمعدّلات الاستهلاك. نحن في سبيلنا للاصطدام بالحائط الكونيّ بعد الانتقال من مرحلة التقشف الرأسماليّ إلى مرحلة التوجّه الشديد نحو اللذّة. وللأسف القدرة الاستهلاكيّة العالية للغرب حقّقها من خلال نهب الشعوب، ولو حقّقت الدول النامية معدّلات الاستهلاك الغربيّة لشعوبها فإننا سنحطّم الكرة الأرضيّة، وسنستهلك كلّ مواردها، وستنشب الحروب من أجل

---

(١) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٥٤، ٥٥.

(٢) العلمانيّة الجزئيّة والعلمانيّة الشاملة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ج٢، ص١٢٠.

الموارد الطبيعيّة».[١]

العواقب البيئيّة من رأسماليّة الاستهلاك:

ظهور إمكانيّة تدمير الكرة الأرضيّة إمّا فجأة من خلال الأسلحة النوويّة أو بالتدريج من خلال التلوث[٢]، أمّا عن الأوّل: فإنّ حربًا نوويّة كفيلة بتدمير كوكب الأرض تدميرًا نهائيًّا، ومن عبث الإنسان أنّه أصبح يمتلك أسلحة نوويّة يمكن أن تدمّر الأرض عدّة مرات، وما زال يبحث عن امتلاك المزيد منها!

وأمّا عن الثاني: فإنّ الوفرة تقودنا إلى دمار الموطن الطبيعيّ والاعتماد المفرط على الوقود الأحفوريّ إلى درجة أنّ الاحتباس الحراريّ للكوكب الذي سبّبه البشر يمكن أن يصل إلى نقطةِ تَحوّل تجعل المحيط الحيويّ غير قابل للسكنى. ستقتلنا الوفرة إذا لم نكبحها.[٣]

إنّ التغيرات المناخيّة قضايا ترتبط بمصير الجنس البشريّ وبقائه على قيد الحياة.[٤]

فمما لا شك فيه أنّ هذا النموذج سيؤدي إلى استحالة العيش على الكرة الأرضيّة، «ولو استمرّ التقدّم بمعدلاته الحاليّة، فإنّ الجنس البشريّ سيحتاج إلى ستّة كرات أرضيّة يستخلص منها المواد الخام وكرتين ليُلقي فيهما بنفاياته».[٥]

---

(١) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص ١٩٤.

(٢) انظر: العالم من منظور غربيّ، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٢٢٥، ٢٢٦.

(٣) انظر: النزعة الاستهلاكيّة من منظار بودريار، ستيوارت براي، ص١٢.

(٤) انظر: تفكيك الرّأسماليـة بحث في تقويض المُشترك الإنساني البيئي، الحسين شكراني، عبد الرزاق بلمير، ص٦٥.

(٥) العالم من منظور غربيّ، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٢١٧.

الثاني: الواجب الأخلاقيّ نحو كوكب الأرض والطبيعة:

يؤكّد جيل ليبوفيتسكي على أنّ عصرنا قلب الأولويّة الأخلاقيّة للغايات، واستقلّت المتعة عن القواعد الأخلاقيّة، وصارت السعادة الذاتيّة هي التي تُغذّي الثقافة اليوميّة، وهذه المتعيّة قد دمّرت فكرة الواجب الأخلاقيّ؛ فأذاب منطق الاستهلاك الجماهيريّ عالم المواعظ التخليقيّة، وقضى على الإلزامات الأخلاقيّة، وأنجب هذا الاستهلاك ثقافة تتغلب فيها السعادة على الأوامر الأخلاقيّة، والمتع على الممنوع، والإغراء على الإلزام.(١)

ولكن بعد ظهور آثار رأسماليّة الاستهلاك، وأنّ «الأرض في خطر الموت فرضت بُعدًا جديدًا للمسؤوليّة، وتصوّرًا مستحدثًا للواجبات الإنسانيّة يتجاوز الأخلاق التقليديّة المحصورة في العلاقات الآنيّة بين الناس».(٢)

وهنا يُطلق جيل ليبوفيتسكي صيحته قائلًا: «إذا كان كوكب الأرض في خطر، فلنؤلّه الطبيعة».(٣)

فلا يجوز أن تظلّ «العلاقة بالأرض مسألة اقتصاديّة حصرًا»(٤)، ولابدّ أن يوقن الإنسان أنّ الأرض بلدٌ واحد، وأنّنا مسؤولون عنها، فهذا هو «زمن "العقد الطبيعيّ" والمواطنة العالميّة، "بلدنا هو كوكب الأرض"».(٥)

ومن هنا يجب أن يتحمّل الإنسان مسؤوليته أمام الخطر المحدق بالبشريّة ولابدّ لنا «أن تتناول

---

(١) انظر: أفول الواجب – الأخلاق غير المؤلمة للأزمنة الديمقراطيّة الجديدة، جيل ليبوفيتسكي، ص٥٦، ٥٧.

(٢) المصدر السابق، ص٢٣١.

(٣) المصدر السابق، ص٢٢٣.

(٤) البيئة تاريخ الفكرة، بول وورد، ليبي روبن، سفوركر سورلن، ص٢٧.

(٥) أفول الواجب – الأخلاق غير المؤلمة للأزمنة الديمقراطيّة الجديدة، جيل ليبوفيتسكي، ص٢٣٠.

حسابات ثمن التقدم الظواهر البيئيّة المختلفة التي لم يتمّ حسابها من قبل مثل: تآكل طبقة الأوزون - تلوّث البحار - التصحّر الناتج عن قطع الغابات والرعي الجائر - النفايات النوويّة - تلوّث الهواء وزيادة نسبة ثاني أكسيد الكربون. إنّ حسابات المكسب والخسارة لابدّ أن تأخذ هذا الاعتبار. وقد فعلنا هذا بالفعل مع المبيدات الحشريّة، فبعد أن كان معدّل استخدامها أحد مؤشرات التقدّم، تمّ حساب التكاليف الكونيّة، فقرّرت منظمة الأغذية والزراعة التابعة لهيئة الأمم المتحدة أنّ ضرر المبيدات الكونيّ الآجل أكثر من نفعها الاقتصاديّ العاجل، ولذا نصحت بالتوقف عن استخدامها، وأصبح استخدام المبيدات الحشريّة أحد المؤشرات على التخلّف».[١]

خامسًا: دور رأسماليّة الاستهلاك في ظاهرة الغلاء العالميّ

إذا كانت النزعة الاستهلاكيّة تدفعُ عجلةَ الاقتصاد، فهل يجعل هذا الأمر النظامَ أكثر فعاليّة؟ للأسف كلا. تتطلّب النزعة الاستهلاكيّة الهدر.[٢]

تقول الإحصائيّات: «إنّ أغنى ٢٠ في المائة من ميسوري العالم اليوم، يستهلكون ٨٦ في المائة من المنتوج الاقتصاديّ العالميّ»[٣]، وأنّ استخدام المواطن الأمريكيّ العاديّ في اليوم ٢٥٠ كيلو وات ساعة من الطاقة يوميًّا. ويبلغ المتوسط في الصين ٤٠ كيلو وات/ساعة، وفي الهند يصل المتوسط إلى ٢٠ كيلو وات ساعة.[٤]

---

(١) العالم من منظور غربيّ، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) انظر: النزعة الاستهلاكيّة من منظار بودريار، ستيوارت براي، ص٩.

(٣) عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص٤٢٤، وانظر: العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص١٤١، وانظر: العالم من منظور غربيّ، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٢١٧.

(4) Consumptionomics. Asia's Role In Reshaping ،Chandran ،Nair ،Obets. Revista De Ciencias Sociales. Vol. 6 ،N.º 2 ،2011; PP. 332.

بل إنّ المُنتجات التي يمكن الاستغناء عنها يستهلكها الإنسان فائق الاستهلاك بشراهة بحيث إنّها تتسبب في مجاعات لشعوب، أو على الأقلّ في رفع أسعار السلع الأساسيّة؛ ويمكن بالاستغناء عنها حلّ مشكلات كثيرة في العالم، منها على سبيل المثال ما يقوله جيريمي ريفيكين: «يقول الواقع إنّ الأميركيين يصرفون على مواد التجميل أكثر من ٨ مليارات دولار سنويًّا، والأوروبيين على المثلّجات (الآيس كريم أو البوظة) – ١١ مليار دولار – مما سيكلفه توفير التربية الأساسيّة والماء الصافي والتصريف الصحيّ لملياري شخص في العالم، من الذين لا يتمتّعون الآن بالدراسة أو حتى بمرافق صحيّة».[١]

إنّ رأسماليّة الاستهلاك حرمت أعدادًا كبيرة من الحقوق الأساسيّة، «فإنّ ٢٠ في المائة من الأميريكيين الأعلى دخلًا اليوم، يحصلون على نصف الدخل القوميّ في البلد».[٢]

ولبشاعة هذه الشراهة الاستهلاكيّة فإنّ «حجم ما استهلكه الأمريكيون في المائة سنة الماضية يبلغ ما يساوي كلّ ما استهلكه الجنس البشريّ عبر تاريخه؛ فإنّ هذا يعني أنّ النمط الغربيّ في التنمية وتحقيق السعادة أو اللذّة للأفراد لا يمكن محاكاته».[٣]

والنتيجة هي أنّ أغنى بني البشر في الأرض منشغلون بتزايد اللهو والتمتع بحياة مبدعة ومعبّرة، في حين أنّ مليارًا آخر من بني البشر يعيشون في فقر، وأنّ بضعة مليارات أخرى يكادون يسدون احتياجاتهم وحسب. إنّ التوقعات للمستقبل القريب أكثر قتامة، فأكثر من مائة بلد بسكان يبلغ مجموعهم ١، ٦ مليار نسمة – أي أكثر من ربع سكان العالم – ما زالوا يعانون من التدهور

---

(١) عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص٤٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص٤٢٥.

(٣) العالم من منظور غربيّ، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٢١٧.

الاقتصاديّ، كما أنّ تسعة وثمانين بلدًا الآن لها مداخيل أقلّ مما كانت عليه قبل عشرة أعوام، بينما عانى خمسة وثلاثون من هبوط في دخل الفرد فاق الهبوط الذي عاناه الفرد الأميركيّ أثناء أصعب فترات الكساد العظيم في الثلاثينات.[١]

والخلاصة، أنّ رأسماليّة الاستهلاك سبب رئيس في موجات الغلاء العالميّة، سواء بافتعال الحروب التي تستلزم التدمير والهدر، ثمّ إعادة الإنتاج ومن ثمّ الاستهلاك؛ أو بالاستهلاك الشره لموارد الأرض، وهذه الموارد يرتفع سعرها بسبب ندرتها أو الطلب العالي عليها. وهي أيضًا سبب رئيس في التلوث البيئيّ والتغيّر المناخيّ مما يعني جفافًا وتصحّرًا للأراضي الزراعيّة، وهو ما يعني حدوث مجاعات أو ندرة في المحاصيل الزراعيّة ومن ثمّ موجات غلاء متتالية.

وفي النهاية فإنّه لابدّ «أن نُعيد النظر في الحداثة الغربيّة ونبحث عن حداثة جديدة»[٢]؛ لأنّ هذه الحداثة سبّبت كوارث عديدة للإنسان والأرض، ولا يمكن في ظلّها «أن ننصح الناس في المنظور الماديّ العلمانيّ بأن يتوقفوا عن الاستهلاك المجنون الشره الذي سيودي بنا جميعًا؛ فإذا كان الإنسان مرجعيّته ذاته، فإنّه لا يعرف سوى المنفعة الماديّة واللذّة الجسديّة، كيف يمكن أن نطلب منه أن يكبح جماح لذّاته من أجل بقيّة الجنس البشريّ ومن أجل الأجيال القادمة؟ »[٣]، فلابدّ أن يرجع الإنسان إلى إنسانيته أولًا، ولابدّ - إذا أراد الرجوع إلى هذه الإنسانيّة المفتقدة - أن تكون له مرجعيّة خارجيّة وهي التي تحدّد ماهيته، وبدونها سيُفسِّر الإنسان نفسه جزءًا من الطبيعة ومن ثمّ حيوانًا مستهلكًا لا مرجعيّة له سوى اللذّة وفقط، وعن هذا يتحدّث القرآن الكريم حين يقول:

---

(١) انظر: عصر الوصول - الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ص٤٢٢، ٤٢٣.

(٢) العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٥٤، ٥٥.

(٣) الهوية والحركيّة الإسلاميّة، د. عبد الوهاب المسيريّ، ص٦٨.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد: ١٢]

إنّ الخروج من هذا المأزق لن يكون إلا بحداثة جديدة مرجعيّتها الإيمان بالله الذي يحافظ على الكيان الإنسانيّ المتميِّز في الوجود، وجحود وجوده تعالى يعني دخولًا في المتاهة والانهيار الذي لا مناص عنه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٩]، وبدون الإيمان بالله والالتزام بالاقتصاد في العيش ستظلّ الأزمات أزمة بعد أزمة إلى أن تُدمّر الأرض أو يأكل القويّ الضعيف من أجل لقمة العيش.

الخاتمة

توصّل البحث إلى عدّة نتائج منها:

١- رأسماليّة الاستهلاك هي أهمّ تطوّر للرأسماليّة؛ لأنّها نقلت الاهتمام من الإنتاج إلى الاهتمام بالاستهلاك من أجل دوران عجلة الإنتاج.

٢- رأسماليّة الاستهلاك تيار رأسماليّ يُعظّم الاستهلاك باستخدام مجموعة من الآليّات والأدوات الإعلاميّة وظيفتها خلق رغبات وحاجات عند المستهلك بقصد زيادة أرباح الرأسماليّ.

٣- ظهرت رأسماليّة الاستهلاك في خمسينيّات القرن العشرين، والسبب المباشر في ظهورها هو التقدّم التقني، مما أدّى إلى زيادة ثوريّة في الإنتاج، فأوجب زيادة الاستهلاك بإنتاج المنتجين.

٤- رأسماليّة الاستهلاك مشروع متكامل ابتنى هندسته من معارف علميّة عن الإنسان جسدًا ونفسًا.

٥- نقلت رأسماليّة الاستهلاك السوق إلى النفس البشريّة؛ فأصبح الإنسان سلعة من السلع وعليه أن يُعلي من قيمته السوقيّة.

٦- جعلت رأسماليّة الاستهلاك التنافس بين المستهلكين وليس بين المنتجين.

٧- تعددت وسائل نشر رأسماليّة الاستهلاك؛ فمن الناحية التشريعيّة: أوجدت حماية قانونيّة وتشريعيّة للاحتكار، وعملت الإعلانات على الإثارة المستمرّة للرغبات.

٨- أثّرت رأسماليّة الاستهلاك على الإنسان فأخرجت إنسانًا يقدّس اللذّة مما يلزم عنه هدم التديّن والدين.

٩- من آثار رأسماليّة الاستهلاك فقدان الحماسة الوطنيّة؛ فالذي يقدّس مصلحته ولذّته الآنيّة لا يؤمن بالأوطان ولا بالتضحية من أجلها.

١٠- لرأسماليّة الاستهلاك خطورة على البيئة الطبيعيّة؛ حيث إنّ الإنتاج والاستهلاك الفائقين يدمّران البيئة.

١١- لرأسماليّة الاستهلاك دور رئيس في موجات الغلاء العالميّة، بل والمجاعات التي تحدث من حين لآخر.

فهرست المصادر والمراجع

القرآن الكريم جلّ من أنزله

١- الأزمة الاقتصاديّة العالميّة: أسبابها وتدعياتها على الاقتصاد العالمي المرحلة الأولى، ٢٠٠٨ - ٢٠١١، د. قحطان السيوفيّ، الهيئة العامة السوريّة للكتاب، دمشق، ٢٠١٢م.

٢- أزمة الرأسماليّة وانعكاساتها على البلدان النامية، أمحمد حسين نصر، مجلة البحوث العلميّة، جامعة إفريقيا للعلوم الإنسانيّة والتطبيقيّة، ج٢، عدد ٤

٣- أزمة نظام: الرأسماليّة والعولمة في مأزق، د. عبد الحي زلوم، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، الأولى، ٢٠٠٩م.

٤- أفول الواجب - الأخلاق غير المؤلمة للأزمنة الديمقراطيّة الجديدة، جيل ليبوفيتسكي، ترجمة: د. البشير عصام المراكشي، مركز نماء للبحوث، بيروت، الأولى، ٢٠١٨م،

٥- البيئة تاريخ الفكرة، بول وورد، ليبي روبن، سفوركر سورلن، ترجمة: سعيد منتاق، عالم المعرفة – الكويت، عدد ٥٠٦، مايو، ٢٠٢٣م.

٦- تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف.

٧- الترف الخالد من عصر المقدس إلى زمن الماركات، إليت رو، ترجمة: الشيماء مجدي، مركز نماء للبحوث، بيروت، الأولى، ٢٠١٨م.

٨- تطوّر الرأسماليّة الأوروبيّة من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين وانعكاساتها على المجتمع الأوروبيّ، مجلة جامعة بابل - العلوم الإنسانيّة، ج٢٨، عدد ٥

٩- تفكيك الرّأسماليّة بحث في تقويض المُشترك الإنسانيّ البيئيّ، الحسين شكرانيّ، عبد

الرزاق بلمير، المستقبل العربيّ، ج٤٥، عدد ٥٢٩، مارس ٢٠٢٣م.

١٠- ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة، مايك فيزرستون، ترجمة: أ.د فريال حسن خليفة، مراجعة: أ. د/ فتحي عبد الله دراج، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ٢٠١٠م.

١١- ثقافة الاستهلاك: المفهوم والقضايا النظريّة، رويدة أحمد محمد عيفة، مجلة البحث العلميّ في الآداب، جامعة عين شمس، عدد ١٧، ج١

١٢- ثقافة الرأسماليّة الجديدة، ريتشارد سينيت، ترجمة عبد الرحمن أياس، دار الفارابي، بيروت، الأولى، ٢٠٠٨م.

١٣- دراسات في العقائد الرأسماليّة - الاشتراكيّة - الشيوعيّة - الصهيونيّة، أحمد الشيبانيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، بدون.

١٤- الرأسماليّة الطاغية - التحوّلات في قطاع الأعمال والديمقراطيّة والحياة اليوميّة، روبرت ب رايش، ترجمة: علا أحمد إصلاح، الدار الدوليّة للاستثمارات الثقافيّة – القاهرة، الأولى ٢٠١١م.

١٥- الرأسماليّة ثورة لا تهدأ، جويس أبلبي، ترجمة: رحاب صلاح الدين، مراجعة: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي، الأولى، ٢٠١٤م.

١٦- الرأسماليّة وفكرة العودة للطبيعة، د. عبد الوهاب المسيريّ، مجلة الطليعة، عدد فبراير ١٩٧١م.

١٧- العالم من منظور غربيّ، د. عبد الوهاب المسيريّ، دار الهلال فبراير، ٢٠٠١م.

١٨- عصر الفراغ الفردانيّة المعاصرة وتحوّلات ما بعد الحداثة، جيل ليبوفيتسكي، ترجمة: حافظ إدوخراز، مركز نماء للبحوث بيروت، الأولى، ٢٠١٨م.

١٩- عصر الوصول- الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، جيريمي ريفكين، ترجمة: صباح صديق الدملوجيّ، مراجعة: د. حيدر حاج إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربيّة، الأولى، ٢٠٠٩م.

٢٠- العلم المرح، فريدريك نيتشه، ترجمة: حسان بورقيّة، ومحمد الناجي، إفريقيا الشرق، الأولى، ١٩٩٣م.

٢١- العلمانيّة الجزئيّة والعلمانيّة الشاملة، د. عبد الوهاب المسيريّ، دار الشروق، الأولى، ٢٠٠٢م.

٢٢- العلمانيّة والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيريّ، حوار سوزان حرفي، دار الفكر، دمشق، الرابعة، ٢٠١٣م.

٢٣- الفردوس الأرضيّ – دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكيّة، د. عبد الوهاب المسيريّ، تنوير للإعلام، القاهرة، الأولى، ٢٠١٤م

٢٤- الفلسفة الماديّة وتفكيك الإنسان، د. عبد الوهاب المسيريّ، دار الفكر دمشق - دار الفكر المعاصر بيروت، الثانية، ٢٠٠٧م.

٢٥- القاموس الاقتصاديّ، د. محمد بشير علية، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، الأولى، ١٩٨٥م.

٢٦- مجتمع الاستهلاك أو رَسْمَلَة القيم، د.عبد الإله بلقزيز، مقال منشور بمجلة بدايات، لبنان، العدد ٢٣ سنة ٢٠٢١م.

٢٧- المشروع النيوليبراليّ في أوروبا والمواطن منعدم القيمة السوقيّة، منال لطفي، مجلة الديمقراطيّة- مؤسسة الأهرام ج١٥، عدد ٦٠، اكتوبر ٢٠١٥م.

٢٨- مغامرة الفكر الأوروبيّ - قصّة الأفكار الغربيّة، جاكلين روس، ترجمة: أمل ديبو، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، الأولى، ٢٠١١م.

٢٩- مملكة الموضة زوال متجدد - الموضة ومصيرها في المجتمعات الغربية، جيل ليبوفيتسكي، ترجمة: دينا مندور، المركز القومي للترجمة، الأولى، ٢٠١٧م.

٣٠- الموسوعة العربيّة العالميّة، مجموعة من الباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر

والتوزيع، الثانية، الرياض، ١٩٩٩م.

٣١- موسوعة النظريّة الثقافيّة المفاهيم والمصطلحات الأساسيّة، أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، ترجمة: هناء الجوهري، مراجعة وتعليق: محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، الثانية، ٢٠١٤م.

٣٢- موسوعة اليهود واليهوديّة والصهيونيّة، د. عبد الوهاب المسيريّ، دار الشروق، الأولى، ١٩٩٩م.

٣٣- النزعة الاستهلاكيّة من منظار بودريار، ستيوارت براي، مقال منشور بمجلة بدايات، لبنان، العدد ٢٣ سنة ٢٠٢١م.

٣٤- نهاية العمل- مأزق الرأسماليّ، جيريمي ريفكين، ترجمة وتقديم: أ . د رجب بو دبوس، دار الكتب الوطنيّة – بنغازي، الأولى، ٢٠٠٥م.

٣٥- الهويّة والحركية الإسلاميّة، د. عبد الوهاب المسيريّ، حوار سوزان حرفي، دار الفكر بيروت، الثانية، ٢٠١٠م.

٣٦- الهويّة وثقافة العولمة، عبد الله الجسميّ، مجلة العربيّ العدد ٥٦٠ لسنة ٢٠٠٥م. رابطه على موقع المجلّة: https: //alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/8655

٣٧- وظيفة الاستهلاك في المجتمعات الرأسماليّة: مقدمة لدراسة تحليليّة، د. زهير مناصفي، مجلة المعرفة - وزارة الثقافة - سوريا عدد ٦٤٩، أكتوبر ٢٠١٧م.

فهرست موضوعات البحث

ملخص البحث باللغة العربية..... ١٤٣٠
ملخص البحث باللغة الإنجليزية..... ١٤٣١
مقدّمة..... ١٤٣٣
أسباب اختيار الموضوع:..... ١٤٣٥
الدراسات السابقة:..... ١٤٣٥
منهج البحث:..... ١٤٣٥
خطّة البحث: ١٤٣٦
المبحث الأوّل: رأسماليّة الاستهلاك نشأتها ووسائلها ١٤٣٧
تعريف الرأسماليّة:..... ١٤٣٧
نشأة الرأسماليّة: ١٤٣٩
أسس الرأسماليّة:..... ١٤٤١
تطوّر الرأسماليّة: ١٤٤٤
تعريف رأسماليّة الاستهلاك:..... ١٤٤٥
نشأتها:..... ١٤٤٦
التعديلات التي أحلّتها رأسماليّة الاستهلاك على الرأسماليّة:..... ١٤٤٩
١ – انتقال السوق إلى النفس البشريّة: ١٤٤٩
٢ – التنافس أصبح بين المستهلكين لا بين المنتجين:..... ١٤٥٠
٣ – رأسماليّة الاستهلاك أضحت نقطة التقاء بين الرأسماليّة والشيوعيّة:..... ١٤٥١
٤ – لم يعد الاستهلاك على أساس المنفعة:..... ١٤٥١
شراهة رأسماليّة الاستهلاك: ١٤٥٢

أساليب نشر رأسماليّة الاستهلاك: ١٤٥٣
١ - إيجاد حماية قانونيّة وتشريعيّة للاحتكار: ١٤٥٥
٢ - الفن والإعلانات: ١٤٥٥
٣ - الإيهام بأنّ شراء السلع يجلب السعادة: ١٤٥٦
٤ - تضييق دورة حياة الـمُنتَج: ١٤٥٧
٥ - السلعة الرمز: ١٤٥٧
الـمبحث الثاني: آثار رأسماليّة الاستهلاك على الإنسان والدين والأوطان والبيئة ودورها في موجات الغلاء العالـميّة ١٤٦٠
أولاً: آثار رأسماليّة الاستهلاك على الإنسان ١٤٦١
١- تقديس اللذّة والإيمان بالاستهلاك قيمة محوريّة في الحياة: ١٤٦١
صفات الإنسان الاقتصاديّ/ الجسمانيّ: ١٤٦٤
٢- تسليع الإنسان وأحلامه: ١٤٦٦
الإنسان منعدم القيمة السوقيّة: ١٤٦٨
بؤس الإنسان الاستهلاكيّ: ١٤٦٩
ثانيًا: آثار رأسماليّة الاستهلاك على الدِّين. ١٤٧١
ثالثًا: آثار رأسماليّة الاستهلاك على الأوطان ١٤٧٣
رابعًا: آثار الرأسماليّة الاستهلاكيّة على البيئة ١٤٧٤
أمّا عن الأوّل: دور الاستهلاك في تدمير الأرض: ١٤٧٤
العواقب البيئيّة من رأسماليّة الاستهلاك: ١٤٧٦
الثاني: الواجب الأخلاقيّ نحو كوكب الأرض والطبيعة: ١٤٧٧
خامسًا: دور رأسماليّة الاستهلاك في ظاهرة الغلاء العالـميّ ١٤٧٨

الخاتمة ١٤٨٢
فهرست المصادر والمراجع ١٤٨٣
فهرست موضوعات البحث ١٤٨٧

تم بحمد الله تعالى